

أقديم، أمينة، «وضعية البينية والجنس: تعدد أوجه البينية الاجتماعية للمهاجرة السنغالية دراسة سوسيو أنثروبولوجيا للمهاجرين/ات السنغاليين/ات بسوق الحي الحسني بالدار البيضاء»، *المجلة الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد 2، 2022، ص. 90-116

وضعية البينية والجنس: تعدد أوجه البينية الاجتماعية للمهاجرة السنغالية دراسة سوسيو أنثروبولوجيا للمهاجرين/ات السنغاليين/ات بسوق الحي الحسني بالدار البيضاء

أمينة أقديم¹

ملخص

تسعى هذه الورقة التي تناولت ظاهرة الهجرة السنغالية بالمغرب من منظور جنس، لتسليط الضوء على "وضعية البينية" التي يعيشها المهاجرون/ات السنغاليون/ات المتواجدون بسوق الحي الحسني بالدار البيضاء، ورصد تجلياتها والموارد الاجتماعية التي يلجؤون إليها كآليات للتفاوض الاجتماعي لتجاوز هذه الوضعية. فحددت عينة الدراسة في المهاجرات السنغاليات المتزوجات اللواتي دخلن المغرب بصحبة أزواجهن، أو بمفردهن، والمهاجرين الذكور الذين هاجروا مع زوجاتهم أو بمفردهم، وذلك لكشف مظاهر "الوضعية البينية" في حياتهم اليومية على مستوى العلاقات الجنسانية، والأدوار الاجتماعية، في علاقاتهم مع المغاربة من جهة، وفيما بينهم كأزواج من جهة ثانية. حيث اعتمدت الدراسة أدوات المنهج الكيفي كسيرة الحياة والمقابلة النصف موجهة، والملاحظة بالمشاركة، وكذلك أطرا نظرية متعددة ومتداخلة، بالتركيز على نظرية الشبكات، نظرية مراحل التحليل الثلاث، بالإضافة إلى نظرية عبد المالك الصياد الذي يدعو لدراسة مسار المهاجرات/ين ضمن فضاء متغير، مع الأخذ بعين الاعتبار بلد الانطلاق وبلد الوصول على حد سواء. فخلص التحليل إلى أن كل من المهاجرين/ات السنغاليين/ات "غير الشرعيين" على حد سواء يعيشون "وضعية بينية" يختلف تدرجاتها على المستوى المؤسسي، وعلى مستوى العلاقات والتفاعلات فيما بينهم وبين المغاربة. إلا أن المهاجرة السنغالية تعيش وضعية بينية مزدوجة كونها انثى ومهاجرة من جهة، بالإضافة لوضعية بينية على مستوى الأدوار الاجتماعية كونها زوجة من جهة أخرى. فتصبح بذلك تعيش "وضعيات بينية" متعددة. الكلمات المفتاحية: الهجرة، الجنس، وضعية البينية، الأدوار الاجتماعية، الموارد الاجتماعية، الشبكات الاجتماعية.

Abstract

This study is an attempt to analyse the Senegalese migration phenomenon in Morocco from a gender perspective. It is meant to highlight particularly the "liminality" experienced by the Senegalese migrants living in the *Hay hassani* neighbourhood in Casablanca. Particularly, it monitors the social resources used by Senegalese immigrants for social negotiation to overcome their situation. The

¹ باحثة في سلك الدكتوراه، كلية الآداب عين الشق، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء

samples of this study are the married Senegalese emigran women who came to Morocco with their spouses or alone, and the Senegalese men who immigrated with spouses or alone. This paper is adopting qualitative method, such as semi-directed interviews and observation of participation to observe the daily lives of emigrants from a gender perspective and the social roles they play in their interaction with Moroccans on one hand and among themselves as married couples on the other. This study uses multiple and overlapping theoretical frameworks focusing on networks theory, the three stages analysis theory, in addition Abd al- Malik Al-Sayyad theory which study the Emigrant path taking into consideration the country of origin and the country of residency. We find that both male and female Senegalese "illegal" immigrants are living "liminality" with different levels, at an institutional level and at the level of relations and interactions between them as couples, and with Moroccans. Also, The Senegalese female migrant live a dual liminal status as a female emigrant and a married woman. Therefore, she lives (experiences??) "liminality" on different levels.

The key words: migration, gender, liminality, social roles, networks, social resource

مقدمة

عرفت هجرة أفارقة جنوب الصحراء في العصور الأولى باعتبارها ظاهرة قديمة، أشكالاً عديدة ومختلفة؛ (التهجير القسري نحو أمريكا وأوروبا في العصور الامبريالية) كهجرة القوافل التجارية وهجرة العبيد. بيد أن التحركات الهجروية في عصرنا الحالي اتخذت أشكالاً جديدة، بل وممارسات جديدة في مناطق العبور²، كالهجرة العبر وطنية، الهجرة العابرة والهجرة السرية. فلم تكن هذه الأشكال الهجروية الجديدة منفصلة عن السياسات التدبيرية التي نهجتها الدول المستقبلية لها؛ وهنا نخص بالذكر السياسات التدبيرية لإشكالية الهجرة الوافدة من دول جنوب البحر الأبيض المتوسط نحو دول الشمال (الدول الأوروبية)؛ حيث عملت هذه الأخيرة على سن قوانين للتصدي لها بنهجها لمقاربة أمنية، وتشديد المراقبة على حدودها تكريساً "لواقع أوروبا القلعة"³، مع إشراك دول شمال إفريقيا وخصوصاً المغرب في مراقبة وحراسة حدودها. أصبح بذلك المغرب؛ بعدما كان بلداً مصدراً للمهاجرين "الشرعيين" وغير "الشرعيين" وتحول لبلد عبور ثم بلداً للاستقبال؛ مجبراً على تدبير الأعداد الكبيرة من مهاجرين أفارقة جنوب الصحراء العابرين والعالقين بترابه، حيث يضطرون أثناء هجرتهم نحو أوروبا للتوقف فيه لفترات طويلة، فيتعين عليهم بذلك إيجاد طرق لجعل فترة انتظارهم هذه أكثر تحملاً⁴.

² Escoffier, Clairo, *Transmigrant-e-s africain-e-s au Maghreb Une question de vie ou de mort*, L'Harmattan, Paris, 2008, pp 211, p 14.

³ محمد الخشاني، " هجرة الشباب العربي إلى دول الاتحاد الأوروبي، قراءة نقدية في السياسة الأوروبية للهجرة"، *الهجرة في حوض المتوسط وحقوق الانسان*، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، طبعة 1، 2018. ص، 28.

⁴ Alioua, Mehdi, Ferrié, Jean-Noël : externalisation européenne des contrôles migratoires et recomposition des circulations en Afrique méditerranéenne, in Alioua Mehdi et autres

ظلت تعاني هذه التدفقات الهجروية؛ التي لطالما كانت موضوعا دسما يثير شهية الدارسين والباحثين من كل المجالات والتخصصات؛ من "العمى الجنوسي"⁵، حيث كانت دراساتهم غير محايدة لتناولهم لظاهرة الهجرة بصيغة المذكر، وتحجيم هجرة المرأة وتقديمها فقط كنموذج المرأة التابعة للرجل في إطار "التجمع العائلي". فلم يكن ينظر إليها من هذا المنطلق كفاعل رئيسي في اتخاذ قرار الهجرة.

ولعبت وسائل الاعلام أيضا ولازالت دورا في التعطيم عن الهجرة النسائية، بإعطائها الانطباع بأن المرشحين للهجرة ليسوا إلا مغامرين شباب⁶، غير مرتبطين بأي التزامات، بالرغم من أن واقع الحال يُظهر أن الحركات والتنقلات الهجروية لا تقتصر فقط على الذكور، بل يكون للمرأة حضورا فيها – سواء بمفردها أو برفقة أسرته وأطفالها – تمر بذلك من نفس الظروف ونفس الطرق لعبور الحدود مثلها مثل الرجل. وهو ما تؤكد الإحصائيات الدولية-على الرغم من قلتها تارة وتحفظها تارة أخرى- حيث تعلن أن هجرة الإناث أصبحت تمثل أكثر من نصف إجمالي الهجرات في جميع أنحاء العالم.⁷ لقد أصبح التواجد الملفت لمهاجرات جنوب الصحراء في الفضاءات العمومية بالمغرب ظاهرة بارزة للعيان، لاسيما المهاجرات السنغاليات (المتزوجات) منهن. واللواتي سأخصهن بالدراسة، وما يطالهن جراء فعل الهجرة، وباعتبارها انتقلا من بلد لآخر، ومن وضعية لأخرى، ليس فقط في بعدها الفيزيقي؛ بالتركيز على مرحلة الانفصال من جماعة الأصل أو مرحلة إعادة الإدراج في جماعة أخرى؛ ولكن بالتركيز على المرحلة بين هاتين المرحلتين، وهي المرحلة البينية "Liminality"⁸، التي تجد فيها المهاجرات أنفسهن في مرحلة بين البينين؛ باعتبارها سيرورة للانتقال من مكانة لأخرى، من أدوار إلى أخرى، تختزن ديناميات لتحولات متعددة ومتداخلة الأبعاد، و تقوم بإعادة تشكيل الأدوار، والعلاقات، والمواقف، والرموز الاجتماعية والثقافية للمهاجرين عموما والمرأة المهاجرة على الخصوص. فباتخاذها لقرار الهجرة مع زوجها أو لوحدها تجد نفسها تعيش واقعا يفرض عليها أحيانا الاستمرار في أداء أدوارها التقليدية (كزوجة وأم) أو تعليقها، مع القيام بأدوار لم تكن مرسومة لها من قبل، كالقيام بالدور الاقتصادي إلى جانب الزوج أو لوحدها، فتعيش بذلك غموضا في علاقاتها الجندرية، وتضاربا في أدوارها الاجتماعية بسبب تهيئتها أحيانا وتراكمها أحيين أخرى، مما يحول دون استقرارها. فتبقى مشتتة بين "الهنا والهناك"، بين أبنائها وزوجها الذين تركتهم في البلد الأصلي وبين حياتها اليومية في سياق الهجرة بكل إكراهاتها (بالنسبة للزوجة التي هاجرت لوحدها)، بين أدوارها الاجتماعية التقليدية المنتظرة منها والأدوار الجديدة التي يفرضها واقعها المعاش. فهذا الواقع الذي يعيشه المهاجرون عموما، والمهاجرات على الخصوص، يثير العديد من الأسئلة التي أحاول الإجابة عليها في ورقتي هاته، من قبيل:

- أين تتجلى "الوضعية البينية" التي يعيشها المهجرون/ات السنغاليون/ات؟

(Dir), *La nouvelle politique migratoire marocaine*, Konrad-Adenauer-Stiftung e.V, Lawne, 2017, P 8.

⁵ غدنز، أنتوني، *علم الاجتماع*، ترجمة، فايز الصباغ، المنضم العربية للترجمة الطبعة 1 بيروت، 2005، ص 360.

⁶ Escoffier, Claire, *Transmigrant-e-s africain-e-s au Maghreb, Une question de vie ou de mort*, p 55.

⁷ Ennaji, Moha, and Fatima Sadiqi, *Migration and Gender in Morocco, the impact of migration on the women left behind*, the Red Sea Press, Trenton, 2008, p.8.

⁸ La Shure, Charles, « What is Liminality? », 2005 (first version), p, 2- 8.

<http://www.liminality.org/about/whatisliminality>.

- وماهي آليات التفاوض الثقافي التي يعتمدونها لتجاوز هذه الوضعية؟
- وكيف يتم تقسيم الأدوار الاجتماعية وبناء العلاقات الجندرية في سياق الهجرة؟
- وكيف تساهم هذه الأدوار والعلاقات في ترسيخ وضعية البينية للزوجة المهاجرة السينغالية؟

قبل عرض منهجية نتائج البحث الميداني لا بأس من تقديم تعريف مبسط لمفهوم "البينية".
"البينية" Liminality كآداة للتحليل

استُخدم مفهوم "Liminal" بداية في مجال علم النفس في عام 1884، ليعيد الباحث "فان جينيب" (Gennep Arnold Van) استعماله من زاوية أنثروبولوجية، في عمله البارز "Les rites de passage". حيث عمل هذا الأخير على وضع سيروية تتضمن سلسلة من طقوس العبور التي تساهم في تنظيم الوضع الاجتماعي. وتشتمل هذه الطقوس حسب تصوره على "بنية ثلاثية الأطوار" وهي كالتالي: انفصال الفرد عن المجتمع الأولي وتجريده من وضعيته الاجتماعية المكتسبة، ثم التحاقه بمجموعة جديدة واندماجه داخلها بوضعية جديدة، لتكون "البينية" مرحلة انتقالية ووسيلة تتخلل المرحلتين. وقد وضح "فان جينيب" أن طقوس الفصل والانتقال وإعادة الإدراج ليست على نفس القدر من الأهمية، وأكد على أن هذه البنية الثلاثية يعاد تكرارها أحيانا في الفترة الانتقالية نفسها¹⁰.

توسعت دائرة استعمال مفهوم "liminality" خلال النصف الثاني من القرن 20 "مع الباحث" فيكتور ترنر (Turner Victor)، والذي طورها عن مفهوم "العتبة" "لفان جينيب" وصاغ أولى تصورات النظرية حول liminality سنة 1967 بالاعتماد على المخطط المرجعي، والبنية الثلاثية الأطوار لطقوس العبور لهذا الأخير. إلا أنه ركز اهتمامه على المرحلة الوسطى -المرحلة الانتقالية أو "البينية"، التي يعيش فيها الأفراد البينين وضعية اجتماعية غامضة. فهم غامضون ومحرّمون من مكاناتهم إنهم ليسوا "لا هنا ولا هناك"، فهم فيما "بين بين" dans l'entre-deux، بين المواقف المحددة والتي يأمر بها القانون، والعادات والأعراف والاحتفالات¹¹. أو كما وصفها "ترنر" كمجال للوقت الحر والتجربي¹² حيث يتم فيها تعليق القواعد المعتادة، فهو يبين بهذا الوضع غير المريح الذي يجد فيه "الشخص البيني" نفسه أثناء انتظار استثمار وقته في وضع جديد، وهو ما يجعل "البيني" أو المهاجرة في دراستي يعيش على هامش الأعراف، في زمن خارج الزمن الاجتماعي لبلده ولبلد الذي يتواجد فيه، أو في زمان افتراضي¹³ أو بالأحرى حسب "فان جينيب" فهو "يطفو على العالمين"¹⁴. حيث إنه في هذه المرحلة يتم تعليق أو سحب مؤقت للوظائف الاجتماعية للأشخاص

⁹ La Shure, Charles, « What is Liminality? », p, 2- 8.

¹⁰ Thomassen, Bjørn, « The uses and meaning of liminality », *International Political Anthropology* 2.1, 2009, 5-28.

¹¹ La Shure, Charles, « What is Liminality? », P,2.

¹² Turner, Victor, *Le phénomène rituel, Structure et contre-structure*. Éd. Presses Universitaires de France, Paris, 1990.

¹³ Dartiguenave, Jean-Yves. « Rituel et liminarité », *Sociétés*, vol. 115, no. 1, 2012,

¹⁴ Gennep, Amold van, *Les rites de passage, Étude systématique des rites de la porte et du seuil, de l'hospitalité, de l'adoption, de la grossesse et de l'accouchement, de la naissance, de l'enfance, de la puberté, de l'initiation, de l'ordination, du couronnement des fiançailles et du mariage, des funérailles, des saisons etc*, Librairie Critique, Paris, 1909, p. 24.

البينين، فهم بذلك يمرون بمرحلة ثقافية ليست لها سوى القليل من سمات المرحلة السابقة أو الآتية. فيدخل بذلك المهاجرة في دراستي هاته في "وضعية البينية" حيث يتوق للهروب من حياته اليومية على أمل الحصول على وضع جديد، وهي عملية تُلزمه بقبول فقدان وضعه السابق، وبإجراء تحولات يتعلم من خلالها التكيف والعيش وفقاً لقواعد المجتمع الجديد كنوع من انتاج للمعرفة. مفهوم الغموض هو مكون أساسي "البينية" ويمكن تفسيره بطرق مختلفة. وفي ورقتي هاته سوف أشير إليه كصعوبة في التنبؤ بالمستقبل القريب والبعيد. اللائقين والغموض بالنسبة للمهاجرات حول ما ستؤول إليه علاقاتهن بالمغاربة، من جهة، وبأزواجهن وأبنائهن وأسرهن من جهة ثانية. وكذا غموض وضعيتهم كونهم مهاجرون/ات دخلوا المغرب بطرق شرعية وأصبحوا/حن غير شرعيين نظراً لعدم تمكنهم من تسوية وضعيتهم. وبالتالي، فهم لا يعلمون ما قد يواجهون في يومهم وما سوف تؤول إليه أوضاعهم. فمنهم من لم يكن ليتوقع أنه سيقى عالقا بالمغرب طيلة هذه المدة، ومنهم من كانوا يتمثلون أنهم سيكونون في المغرب؛ كونه بلد افريقي ومسلم؛ في أمان، وأنهم لن يتعرضوا للعنصرية والتمييز من طرف المغاربة. لكن الواقع كان عكس تمثلاتهم، وهو ما جعل الغموض يحيط بهم من كل جوانب حياتهم.

اعتمدت هذه الدراسة أدوات المنهج الكيفي المتمثلة في سيرة الحياة التي تمكن من تتبع مسار انتقال المهاجرات/ين من بلدهن/هم الأصلي إلى حين وصولهن/هم لسوق الحي الحسني بالدار البيضاء مع التركيز على مختلف مراحل هجرتهم/هم؛ من اتخاذ قرار الهجرة إلى اختيار مجال السوق. وكذا المقابلة النصف موجهة، والمتكررة مع بعض المهاجرات/ين، التي كنت أفضل القيام بها في الصباح حيث يتسنى لي الجلوس والحديث مع المشاركين/ات في البحث لوقت طويل قبل توافد الزبائن عليهم/هن، بينما اكمل بقية اليوم بالملاحظة والملاحظة بالمشاركة التي اعتمدتها كأداة تكميلية لجمع المعطيات، حيث حاولت مشاركتهم/هن في بعض نشاطاتهم/هن اليومية كتناول الوجبات السنغالية، ومساعدتهم في بيع بعض المنتجات، وكذا تقاسم بعض القصص والأحداث الجانبية التي ليست لها علاقة بالبحث، الشيء الذي مكّني من خلق علاقات متينة معهم/هن، وكسب ثقتهم/هن، وأتاح لي جمع العديد من المعطيات التي ساعدني تحليلها إلى جانب تحليل المقابلات على فهم بعض الوقائع والإجابة عن بعض تساؤلات الدراسة.

وبالنسبة للعينة اعتمدت تقنية كرة الثلج، للتوصل للعينة ذات الخصائص التي تحددها إشكالية البحث على أن يكون أفراد العينة متزوجون/ات لديهم/هن أبناء، حيث حصرت عينة البحث في 10 مهاجرات سنغاليات متزوجات، و7 مهاجرين سينغاليين منهم من دخل للمغرب بمفرده ومنهم من دخل مع زوجته، من بينهم 3 أزواج (couples). وللإشارة، كل المشاركين/ات في البحث تركوا أطفالهم في السنغال، وحتى المشاركتين اللتين أنجبنا طفليهما هنا، أخذتاها إلى السنغال بعد مرور سنتين أو أكثر. "كل المهاجرات/ون المشاركات/ون في البحث يعملن/ون في القطاع غير المهيكل داخل سوق الحي الحسني. فالذكور يتاجرون في الهواتف النقالة المستعملة، والإناث يقدمن خدمات التجميل، ويتاجرن في بعض مواد التجميل، بينما اثنتين من المشاركات في البحث عملهما اليومي هو إعداد وتقديم وجبات للأفارقة داخل نفس السوق. يتحدث المشاركون/المشاركات اللغة الفرنسية كلغة ثانية إلا مشاركا واحدا يتحدث الإنجليزية. لهذا أُجريت كل المقابلات باللغة الفرنسية تتخللها بعض الكلمات بالعربية، أما المشارك في البحث الذي يتحدث الإنجليزية فقد تمت معه المقابلة بمساعدة صديق له يتكلم الفرنسية والانجليزية. ومنه، فكل الاستشهادات التي تم اعتمادها في هذا المقال هي ترجمة حرفية وأمانة إلى اللغة العربية لأقوال وكلام المشاركين/ات في البحث.

أولاً: تجليات "وضعية البينية" من خلال ازدواجية الظهور والاختفاء للمهاجرين/ات

1-المهاجرات السنغاليات بين الخوف والأمل منذ اتخاذ قرار الهجرة ووضعية البينية

بعد تتبعنا لمسار المهاجرات/ين السنغاليات/ين عينة الدراسة، في طريقهن/هم "للبحث عن الحياة"، وازدواجية الخوف والأمل التي صاحبتهم من بلدهم الأصل (السنغال) إلى بلد الوصول (المغرب)، وبالضبط إلى سوق الحي الحسني بالدار البيضاء، الذي اختاروه كفضاء لممارسة نشاطهن/هم التجاري غير المهيكل؛ نجد أن بواذر "الوضعية البينية" تبدأ لديهم؛ بالأخص للمهاجرات؛ منذ اللحظات والخطوات الأولى التي ابتعدن بها عن بلدهن، حيث بدأت تخالجهن مجموعة من المشاعر المتناقضة التي تمزج بين الخوف والأمل، الأمل في تحقيق مستقبل أفضل لأبنائهن وتحقيق مستوى عيش أفضل لهن ولأسرهن، والخوف على ما تركناه وراءهن (الأبناء والأهل...)، الخوف مما قد يطرأ الروابط والعلاقات بينهن وبين أزواجهن وأبنائهن من فتور جراء البعد الجغرافي من جهة، والأمل في الغد وفي "الهناك"، حيث الحياة أفضل والواقع مزدهر كما نسجته بنات أفكارهن، والخوف من الغموض الذي يطبع مسارهن نحو المجهول نحو بلد لا يعرفن عنه سوى ما سمعته ممن سبقتهن، من جهة ثانية.

لقد أجمعت كل المشاركات في البحث على أنهن عشن ويعشن مجموعة من الأحاسيس المتناقضة والمتداخلة في نفس الوقت حيث دخلن في دوامة من الغموض والتهيه منذ لحظتهن الأولى من مشروعهن الهجروي، فيحاولن تناسي هذا الخوف بالتفكير في أهدافهن وهو ما عبرت عنه (م)، ي، 28؛ سنة؛ تتواجد بالمغرب منذ 4 سنوات، كانت مطلقة عندما هاجرت، وتزوجت من سنغالي مقيم بالمغرب الأبناء:1) حيث قالت:

بالرغم من إصراري على الهجرة إلا أنني كنت خائفة... كنت أفكر، كيف يمكنني الافتراق عن ابنتي وكم سأشتاق إليها... لكنني كنت أصبر نفسي عندما أفكر في الحياة الجميلة التي تنتظري وأنني سأتمكن من تربيتها وتعليمها تعليماً جيداً

فيما كان الهاتف بالنسبة ل (خ، د؛ 35 سنة، هاجرت بدون زوج؛ تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات، الأبناء:3)، رفيق الدرب والأنيس الذي يقلل من ارتباكها وخوفها جراء الابتعاد عن أبنائها وزوجها وأهلها في رحلتها نحو المجهول، بالنسبة لها كان لابد من رابط يحافظ على التواصل بينها وبين أهلها حتى تتمكن من معرفة أخبارهم، ويتمكنوا هم أيضاً من تتبع أخبارها. وهكذا، كان الهاتف بالنسبة لها أهم شيء في رحلتها ولحد الآن، حيث تقول:

"كنت أفكر في أبنائي وزوجي وأمي كيف يمكنهم أن يتواصلوا معي إن ضاع هاتفي وخاصة أنني متجهة لبلد أجعله لا أعرفه... كان هاتفي أهم شيء أنتبه إليه كي لا يضيع مني في الأشهر الأولى، وحتى الآن أنتبه إليه جيداً".

ظلت ازدواجية الخوف والأمل تلازم المهاجرات/ين عينة الدراسة حتى بعد وصولهن/هم للمغرب، بل وزادت وضعية التهيه التي يعشنها/ونها في المجتمع المغربي كسياق لهجرتهن/هم. فقد أعرب أغلبهن/هم عن صدمتهن/هم بالواقع المغربي وعن تعامل المغاربة معهن/هم، وهو ما كان عكس توقعاتهن/هم حيث كن/وا يتمثلونهم إخواناً لهن/هم، كما يتضح من قول (س، ن، غ؛ 36 سنة، دخل المغرب منذ سنتين، بدون زوجة، الأبناء:3)

"كنت أظنني أشد الرجال إلى بلد أفريقي وشعب مسلم مثلنا، ولكن صُدمت بتعاملهم معنا، ينظرون إلينا باحتقار... يحسبون أنفسهم أوروبيين لأنهم ليسوا سود مثلنا وينعتوننا بالأفارقة وهم أنفسهم أفارقة... فهم عنصريون لا يحبوننا"

2-التوزيع اللامتكافئ للمجال داخل فضاء السوق و"وضعية البينية"

إن التمييز الذي يعاني منه المشاركون/ات في البحث من طرف المغاربة، أو ما وصفوه بالعنصرية والتهميش، يبدو جليا على مستوى توزيعهم/هن المجالي داخل سوق "الحي الحسني". فعند دخولي لميدان البحث، وبعد ملاحظاتي المتكررة وأنا أتجول تارة في محيط السوق وتارة أخرى داخله لأحيط بأمكان تواجد المهاجرين/ات الأفارقة جنوب الصحراء وللإحاطة بالحدود الجغرافية لتواجدهم بين المغاربة، لاحظت توزيعا مجاليا يميز بين الباعة المغاربة والباعة المهاجرين/ات على مستوى المجال نفسه وعلى مستوى الحيز الذي يشغلونه¹⁵. فنجد أن نسب تواجد المهاجرين/ات في الفضاء ككل تتفاوت بالمقارنة مع تواجد المغاربة، ثم إن نسب تواجد الأفارقة أنفسهم متفاوتة على مستوى النوع. ففي الواجهة الأمامية للسوق الرسمي مجال الدراسة نجد أن نسب الأفارقة، ذكورا وإناثا على حد سواء قليلة جدا بالمقارنة مع المغاربة الذكور. إلا أن النسبة الكبيرة من المهاجرين الأفارقة تتواجد بين الحديقة العمومية والسوق الرسمي، حيث يصطف الباعة المغاربة بشكل كبير وسط الطريق، أمام مداخل السوق "بفراشاتهم"¹⁶ وطاولاتهم الكبيرة والتي يحيطونها 'بجدران' من الثوب والبلاستيك، مما يسمح بظهورهم للزبائن ومرتادي السوق، بينما يتواجد الباعة المهاجرون/ات خلفهم مباشرة، بحيث تتواجد المهاجرات الإناث فوق الرصيف، بمحاذاة سياج الحديقة الذي يديرون له ظهورهن، بطاولاتهن الصغيرة والمحملة بكميات من المواد التجميلية وخصلات الشعر والأظافر الاصطناعية المعروضة للبيع، وكراسيهن المتهترئة، بينما يتوزع المهاجرون الذكور خلف هذا السياج وداخل الحديقة بشكل منتظم، بطاولاتهم الأصغر حجما والتي يعرضون فوقها الهواتف النقالة المستعملة للبيع، فمنهم من يختار مكانا بالقرب من الشجر ليحتمي بظلها في أيام الشمس الحارقة، ومنهم من يختار الجلوس بالقرب من الممر، وبين هؤلاء الذكور نجد مهاجرتين بطاولتيهما المليئتين ببعض المواد الغذائية حيث تقومان بإعداد الوجبات وبيعها للمهاجرين/ات المتواجدين/ات داخل فضاء السوق.

الصورة 1 : سوق (السلك) الحي الحسني بالدار البيضاء

© أمينة أقديم 2019/04 /08

¹⁵ أنظر الملحق (رسم تخطيطي مبسط لتوزيع الباعة المغاربة والمهاجرين/ات داخل سوق

السلك بالحي الحسني)

¹⁶ الفراشة: هي قطعة من الثوب أو من الخشب يفرشها الباعة (قطاع غير مهيكّل) على الأرض في محيط سوق رسمي أو أي مكان يعرف حركة دائمة ويضعون فوقها السلع التي يودون بيعها.



تبين هذه الصورة التوزيع اللامتساوي لمجال السوق بين الباعة المغاربة والباعة المهاجرون/ات والاستبعاد الذي يتعرضون له داخل هذا الفضاء.

الصورة 2 : سوق (السلك) الحي الحسني بالدار البيضاء
© أمينة أقديم 2019 /04 /08



تبين هذه الصورة تراجع المهاجرات إلى هامش الطريق، يضعن أغراضهن خلف الباعة المغاربة بمحاذاة سياج الحديقة وهو ما يحجبهن عن أنظار الزبائن.

فهذا التوزيع المجالي بين المهاجرين والباعة المغاربة، لم يكن اعتباطيا، بل جاء بعد "وضعية اتسمت بصراعات ومفاوضات طويلة، حسب قول أغلب المشاركين /ون في البحث، وهو ما تعبر عنه (ف، ا؛ 25 سنة، تتواجد في بالمغرب منذ 3 سنوات بصحبة زوجا وزوجته الأولى، الأبناء 1) حيث تقول:

"دائما لدينا مشاكل مع المغاربة. أترين هناك [وتشير إلى وسط الطريق الفاصلة بين السوق الرسمي والحديقة العمومية حيث يتواجد الباعة المغاربة] ...هناك كان مكاننا أول مرة...هناك يمر الزبائن بكثرة، هنا لا...وكننا كلما وضعنا طاولاتنا هناك ندخل في نزاعات مع المغاربة حيث يرمون لنا السلع على الأرض... أترين لازالت هناك أماكن فارغة ولكن لا يريدون أن نكون بجانبهم... كان الأمر صعب لهذا رجعنا إلى هنا... هكذا قل النزاع بيننا لكن المشكل الذي نعاني منه هو أننا لا ننظر للزبائن ولا يهرون من هنا إلا قليلا..."

وهو ما يؤكد (ع، ب، د؛ 39 سنة، يتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات رفقة زوجته، عدد الأبناء: 4) الذي كان يتدخل لحل المشاكل اليومية مع الباعة المغاربة لأن ما يشغله أكبر من النزاع اليومي حول المجال، حيث قال:

"نحن المهاجرون نتعرض دائما للمشاكل وبشكل يومي... فعندما يرونا نعمل ويقصدنا الزبائن يغارون ويخلقون المشاكل... كنا نعيش نفس المشاكل إلى أن تراجعنا للوراء وقررنا أن نترك المغاربة هناك، وذلك بعد أن اجتمعنا نحن السينغاليين واتفقنا على هذا الاقتراح الذي كان اقتراحي، حيث قلت لهم ليرجع للوراء ونتركهم هناك والرزق بيد الله... لابد من التنازل قليلا فنحن لسنا في بلدنا *on est pas chez nous*...وليس لدينا من الوقت ما نضيعه في الصراع..."

ما قاله (ع، ب، د) يلخص الوضعية "البينية" التي يعيشها المهاجرين/ات في رحلتهم/هن "للبحث عن الحياة" في مكان آخر غير بلدهم/هن، وما تتطلبه هذه الوضعية من تقديم لتنازلات للوصول لهدفهم/هن وهو تحسين ظروف عيشهم/هن وعيش أسرهم/هن. فوعيتهم بأنهم "ليسوا في بلدهم"، وأن هجرتهم هي ممر انتقالي من وضع اجتماعي لآخر يتطلب منهم الامتثال للقواعد الاجتماعية¹⁷ لمجال تواجدهم، فيقبلون بعضها حتى وإن لم تتناسب مع وضعهم الذي كانوا عليه في بلدهم. فيصبح تقديم التنازل سمة أساسية لهم "كبيينين" في السياق الهجروي، وإن لم تكن سمة دائمة في سلوكهم، إلا أنه غالبا ما يلجؤون إليها كاستراتيجية للتكيف مع المجتمع الجديد ذو البنية الثقافية والاجتماعية المختلفة. علاوة على ذلك، فإن وعيتهم بأن إقامتهم مؤقتة وإن طالت تجعلهم يركزون على بلد المنشأ، والأهداف الاقتصادية التي خططوا لها من قبل بدل التنافس والنزاع مع الباعة المغاربة في مجتمع الاستقبال¹⁸، حتى وإن كان الثمن تهميشهم/هن مجاليا وما يستتبعه من إخفاء لنشاطهم/هن التجاري.

3- النمط الظاهري للون البشرة السوداء و"وضعية البينية المزدوجة"

¹⁷ Fourny, Marie-Christine, « La frontière comme espace liminal : Proposition pour analyser l'émergence d'une figure de la frontière mobile dans le contexte alpin », *Revue de Géographie Alpine / Journal of Alpine Research*, Association pour la diffusion de la recherche alpine, 2014, 101 (2), pp.2-11

¹⁸ Cornejo-Portugal, Inés, Fortuny-Loret de Mola, Patricia «Liminalidad social y negociación cultural: inmigrantes yucatecos en San Francisco, California Convergencia», *Revista de Ciencias Sociales*, Universidad Autónoma del Estado de México vol. 19, núm. 58, 2012, pp. 71-96.

يتضح من خلال قول (ع، ب، د؛ 39 سنة): «اجتمعنا نحن السينغاليين واتفقنا على هذا الاقتراح...» المتمثل في التراجع للوراء، ومن خلال ما توصلت إليه أيضا أثناء بحثي الميداني، أن كل المهاجرين/ات المشاركين في البحث من جنسية سنغالية، يوحدتهم انتماءهم الديني 'الإسلام'، يجتمعون فيما بينهم في إطار "جماعة *communitas*"¹⁹ لتدبير شؤونهم المشتركة مما يساعدهم على تقليل التوتر الذي يعيشونه. حيث تمكنهم هذه البنية التنظيمية التي نجحوا في إقامتها من حل بعض النزاعات بينهم وبين الباعة المغاربة، وتخفيف بعض مظاهر الرفض الاجتماعي الذي يواجهونه، وتشعرهم بالتضامن في مواجهة الاحباطات المتوالية، لكنها لن تحميهم من مظاهر البنية الأخرى الذي يعيشونها بشكل مستمر في تفاعلاتهم اليومية مع المغاربة، بسبب لون بشرتهم والذي لا يمكنهم إخفاؤه. وهوما تؤكد (أ، س، ي؛ 45 سنة، تتواجد في المغرب منذ 6 سنوات لوحدها، كانت مطلقة عندما هاجرت، تزوجت (زوجة ثانية) من سنغالي مقيم بإيطاليا، الأبناء: 2) بقولها:

"واجهت العديد من المشاكل منذ وصولي إلى هنا... لم أكن أعلم أن المغاربة يكرهوننا... أحيانا تمر بجانبك إحدى النساء وتقول "لا أدري لماذا السود *les noir* يتواجدون بكثرة عندنا، اذهبوا لحالكم نحن لا نعمل بسببكم"... المغاربة لا يريدون أن يعملوا ويحملونا مسؤولية بطالتهم، ويوجهون لنا كلمات جارحة، دائما ينادوننا عذبة عذبة²⁰ وهذا يتكرر باستمرار، يعاملنا كأنهم أعلى قيمة منا، بالرغم من أننا كلنا أفارقة... نحن من جاء عندهم فيجب أن نرضخ قليلا، ولكن هناك حدود لا ينبغي علينا أن نقبل كل شيء..."

يتضح من خلال هذه الشهادة، أن المهاجرات تتعرض لمضايقات من طرف النساء المغربيات. وأغلب المهاجرات المشاركات في البحث يبدن استغرابهن من مواقف بعض المغربيات، اللواتي ترفضن تواجد الأفارقة في مجتمعهن، وتعتدين عليهن برمي سلتهن على الأرض وإهانتهم بلون بشرتهن، مبررات ذلك بأن تواجد الأفارقة يسبب ارتفاع البطالة في صفوف المغاربة. إلا أن المشاركة في البحث ترى أن هذه الاعتداءات هي ذريعة يوارى بها المغاربة العاطلون عن العمل كسلهم وفشلهم.

كما يتضح من كلام هذه المهاجرة، أن المهاجرين الأفارقة جنوب الصحراء عموما، والإناث منهم على الخصوص، يتعرضن باستمرار "للعنف اللفظي" والمتمثل في كلمة "عذبة" عند تواجدهن بالأماكن العمومية، وحتى داخل السوق، وذلك نظرا لفرط مرئيتهم "Hyper visibility"²¹ بسبب لون بشرتهن الذي يجعلهن عرضة لخطابات الكراهية والسلوك التمييزي.

فهذا التمييز المبني على لون البشرة والذي يتعرض له المهاجرات السنغاليات من طرف المغاربة الذين ينظرون إليهن "باعتلاء" بالرغم من أنهم كلهم أفارقة حسب قول (أ، س، ي)، يشعرهن بالدونية والاحتقار، وهو ما يزيد من تعميق حالة الإحباط التي يعشنها نظرا لهشاشة وضعيتهن "غير القانونية" من جهة، ومسؤولياتهن التي تثقل كاهلهن اتجاه أسرهن في البلد الأصل، من جهة

¹⁹ La Shure, Charles, «What is Liminality?», p2.

²⁰ هو تعبير قديم متداول في المغرب يطلق على ذوي البشرة السوداء أو السمراء سواء كانوا مغاربة أو أجانب.

²¹ Audette-Chapdelaine, Sophie, *Un tremplin, mais pas nécessairement vers l'Europe : (In)visibilité de personnes originaires d'Afrique subsaharienne au Maroc*, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures et postdoctorales de l'Université Laval dans le cadre du programme de maîtrise en anthropologie pour l'obtention du grade de Maître arts Département d'anthropologie Faculté des Sciences Sociales Université LAVAL Québec 2012, p.12. <https://corpus.ulaval.ca/jspui/bitstream/20.500.11794/23918/1/29372.pdf>

ثانية. فوعيهن بأنهن "لسن ببلدهن" وتفكيرهن الذي يتقلب بين "الهنا والهناك" هو ما يحدد ردة فعلهن، والتي غالبا ما تكون بتقديم تنازلات، وإن كانت ستزيد من هشاشة وضعيتهن واستعلاء الآخر عليهن. الشيء الذي يشعرهن بأنهن مقيدات، ليست لهن وضعية معترف بها لا قانونيا ولا اجتماعيا وهو ما يؤكد "وضعتهن البينية".

ليست النساء المهاجرات فقط من يتعرضن للسب والإهانة، بل الذكور بدورهم يعيشون مظاهر من هذا العنف اللفظي والذي يُوجه إليهم من طرف المغاربة كشكل من أشكال السخرية أحيانا، وهذا ما يؤكد (م، ب، ا؛ 44 سنة، يتواجد بالمغرب منذ 4 سنوات، عدد الأبناء: 3) بقوله:

"تعلمت في مدة ثلاث سنوات بعض الجمل بالعربية لأتواصل مع الزبائن، لكن أصبحت أسمع أشياء لا أقبليها... ففي يوم قصدي شاب مغربي مع صديقه وسألني بالفرنسية عن ثمن الهاتف قلت له الثمن. بعد ذلك سمعته هو يشتمني بالعربية... قلت له ماذا قلت بالفرنسية؟ أجابني بنفس الشتيمة وهو يضحك. كان يظنني لا أفهم ما يقول... أخذت منه الهاتف وقلت له لا أريد أن أبيع، اذهب لحالك، لكنه استمر في شتمي بتلك الكلمات النابية..."

لم يسلم هذا المهاجر من تلك الصور السلبية والقوالب النمطية²² المستدمجة في ذهنية بعض المغاربة التي كانت ولا زالت تربط لون البشرة السوداء بالدونية الاجتماعية، حيث حاولا الشابان المغربيان أن يحتقرا بسخريتهم منه، وشتمهم له باللغة العربية بكلمات نابية ظنا منهما أنه لن يفهم ما يقولانه؛ لكن هذا المهاجر الذي حاول تعلم اللغة ليتمكن من التواصل مع زبائنه، فهم كل ما قاله الشابين ورفض التعامل معهما. كان المهاجر يحكي لي هذا الموقف وكأنه يعيشه للتو، وأعاد الكلمات التي سمعها لأكثر من مرة وهو يقول:

"ندمت على تعلمي هذه اللغة لأنني أصبحت أذمر وأشعر بالضيق عند سماعي هذه الشتائم..."

فباللغة التي حاول المهاجر تعلمها لتكون موردا اجتماعيا وثقافيا يخول له التواصل مع الزبائن، وكاستراتيجية يتجاوز بها "وضعته البينية"، كانت لها "آثارها غير المتوقعة"²³ des effets pervers، حيث زادت من تعميق وضعيته الهشة وزادت من شعوره بالإحباط والدونية، وخصوصا حين أضحي يفهم خطابات الكراهية التي توجه له.

فكما تعرض "البشرة السوداء" المهاجرين/ات إلى فرط الظهور، فإنها تعرضهم أحيانا للإخفاء، فيصبحون غير مرئيين اجتماعيا من طرف المؤسسات القانونية والطبية، ولا سيما المهاجرين "غير النظاميين"، حيث يهملون ويستبعدون من أهم الخدمات الاجتماعية خاصة الصحية، حتى وإن ولجوها فإنهم لن يتلقوا فيها العناية التي كانوا ينتظرونها. وفي هذا الصدد تحكي لي (م، ر، ي؛ 29 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات، عدد الأبناء: 1، مهنتها: اعداد وبيع السندويشات):

"منذ أن وصلت إلى المغرب وأنا أبكي لأنني أشعر وكأنني أعيش اليتيم بكل أشكاله، يُتم البلد ويُتم الأهل، ويتم الزوج والابن... فالهجرة صعبة جدا... مرضت في (شهر دجنر) وذهبت للمستشفى فأجريت لي عملية... بقيت بعدها لمدة يومين بدون علاج ولا اهتمام، وفي اليوم الثاني أتى الطبيب كشف على المريضات المغربيات وذهب دون الالتفات إلي... ولما خرجت من المستشفى تعفن لي مكان العملية... رجعت ثانية للمستشفى و لما رأيت الطبيب متجه لغرفة الكشف ناديته دكتور، دكتور... نظر إلى وقال: "اذهبي و اجلسي هناك" تكلم معي بالعربية وهو لا يعلم إن كنت أفهم العربية أم لا... قلت له أريد أن أشرح لك شيئا، أجابني بصوت عال: "قلت لك انتظري هناك"،

²² Escoffier, Claire, *Transmigrant-e-s africain-e-s au Maghreb Une question de vie ou de mort*, L'Harmattan, Paris, p100.

²³ Boudon, Raymond, *Effets pervers et ordre social*, PUF, Paris, 1977, p 283.

أحسست بالظلم وأخذت أبكي كطفلة صغيرة، بصراحة، هذا تعامل سيئ أشعني بالاستياء، فالمغاربة يروننا من فوق وكأنهم هم أعلى منا، وهذا يعتبر عنصرية".
يتضح من شهادة هذه المشاركة في البحث، أنها تشعر بالدونية والتهميش من خلال التمييز الذي تعرضت له داخل المؤسسة الصحية العمومية، ومن طرف الطبيب الذي كان يتجاهلها ويتجاهل أمها، حيث كان يعطي الأولوية للمرضى المغاربة، على حد قولها، وكلما كلمته، يصرخ في وجهها مكلما إياها باللهجة المغربية الدارجة، الشيء الذي اعتبرته هذه الأخيرة تحقيرا لها واستعلاءً عليها. فكل من الهامشية والدونية يشيران إلى موقف من العجز²⁴ الذي يشعر به "البينيون" وليس لديهم خيار فيه. هذا الشعور بالعجز هو ما عبرت عنه المهاجرة بالبكاء، وذلك لعدم قدرتها على القيام بأي ردة فعل نظرا لوضعيتها غير القانونية، وما تستتبعها من شعور بالاستياء والإحباط، وقلة الحيلة²⁵.

يكون المهاجرون في مثل هذه الأوضاع، وسيما "غير الشرعيين" منهم 'غير مرئيين' اجتماعيا ولا مؤسسيا، وغير مؤهلين للتمتع بحقوقهم في الاستشفاء. وإن تمكنوا من الحصول على هذه الخدمة، واستطاعوا الظهور والدخول "للمناطق المرئية" (المؤسسات الاستشفائية...)، فإنهم يتعرضون لأشكال شتى من التهميش نتيجة لفرط مرئيتهم، والذي يلعب فيها لون بشرتهم دورا كبيرا.

4-الجسد الانثوي ذو البشرة السوداء و "وضعية البينية" المزدوجة للمهاجرة

قد تعاني المرأة المهاجرة من تبعات "فرط الظهور" أو المرئية المفرطة" بسبب لون البشرة أكثر من الرجل. فإلى جانب خطابات الكراهية والعنف اللفظي المتمثل في كلمة "عزية"، أو الوصم بالمرض "إيبولا والسيدا" الذي يعاني منه كلا الجنسين من المهاجرين، فإن تواجد المرأة المهاجرة السنغالية، في الفضاءات العامة، وحركتها الدائمة داخلها تجعلها تعاني من الصور السلبية والقوالب النمطية المستندمة في الذهنية الذكورية للمغاربة اتجاه المرأة السوداء عموما، والتي لازالت "ترادف صورة المرأة الشهوانية والمجانبة كاستمرار للفكر العبودي المتجذر في المخيال المغربي"²⁶، أو كنتاج للمخيل الذكوري²⁷، الذي بمجرد رؤيته لأنثى سوداء مهاجرة من جنوب الصحراء يتوهم سهولة تملكها واستغلالها جنسيا، وهو تؤكد (ك، ي، ت؛ 26 سنة، تتواجد بالمغرب منذ سنتين و4 أشهر، دخلت المغرب رفقة زوجها لكنه تمكن من العبور لإسبانيا لوحده، عدد الأبناء: 0) حيث قالت:

"دائما نتعرض للتحرش من طرف المغاربة...وهذا نعيشه باستمرار في الشارع وفي أي مكان...في مرة من المرات مر بجاني أحدهم لمسني بيده وهو يقول كلمات لا أفهمها...أحيانا يتظاهر أحدهم بأنه سيسقط ليمسك بمناطق معينة من جسدي...وأحيانا يقولون لنا مباشرة أريد منك أن تذهبي معي... بالنسبة لهم كل المهاجرات جئن لهذا..."

²⁴ Charles La Shure, « What is Liminality? », p 5.

²⁵ Ibid, p3.

²⁶ يسني، ياسين، «وضع المرأة السوداء في المغرب بين وصمي اللون والنوع الاجتماعي»، مجلة

عمران، العدد 25، 2018، ص. 66.

²⁷ Le Bihan, Yann, *Construction sociale et stigmatisation de la " femme noire " Imaginaires coloniaux et sélection matrimoniale*, coll. Logiques sociales, L'Harmattan, Paris, 2007, p.51

فصورة المرأة الإفريقية السوداء المهاجرة التي استطاعت "تكسير مجموعة من القواعد الثقافية المؤطرة لحياتها كأمراة"²⁸ بهجرتها توحى على أنها مغامرة و متمردة على كل المعايير التقليدية. وبالتالي، فهي 'بدون أخلاق'، مما يسمح للذكور باستغلالها جنسيا دون الشعور بالذنب أو الخوف من العقاب نظرا لوضعيتها غير القانونية. فتواجهها طوال اليوم في الفضاءات العامة، أو في السوق مكان عملها، يتناقض عند بعض الذكور المغاربة والصورة النمطية للمرأة التي يكون بالنسبة لها الفضاء العام مجرد ممر تعبره لعملها أو لبيتها أو لقضاء حوائجها، بحيث لا تقضي فيه معظم وقتها، وهو ما يزيد طمعه في استغلالها. فبالنسبة له المرأة المهاجرة، وحيدة وبلا ضوابط، هذا يعطيه الشرعية للتحرش بها حتى وإن كانت متزوجة. تقول (س، ن، د: 32 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 5 سنوات بصحبة الزوج، عدد الأبناء: 2): " ذات مرة وأنا أعمل جاء شاب مغربي من الباعة المتواجدين هنا وضربني بعض حتى أصبحت دراعي كلها زرقاء، لا زالت عندي الصورة... فلمجرد أنه كان غاضب من أحد أصدقائه المغاربة عوض أن يضربه اتجه نحوي وضربني وكأني حجر... لكنني أعلم لماذا ضربني أنا بالضبط... سأقول لك؛ أسبوع قبل هذا الحادث تقريبا التقى بي خارج السوق، سلم علي وبعد أن تكلم معي قليلا عرض على أن أذهب معه لمكان ما لممارسة الجنس... صدمت مما قاله وقلت له أنت تعلم أنني متزوجة وتعرف أخلاقي جيدا لن أقوم بما تطلبه، فتركته وذهبت مسرعة للسوق، لهذا ضربني يريد أن ينتقم مني... لم أستطع أن أقوم بأي ردة فعل حينها غير أنني ذهبت للمستشفى وأخذت شهادة طبية وذهبت للشرطة كي تصفني... لكن دون جدوى، لم يفعلوا له شيئا لأنه ابن بلدهم".

بنفس منطق المخيال الثقافي المغربي الذي يربط الجسد الأنثوي الأسود بالعبودية وبمشروعية استغلاله جنسيا، قام هذا المغربي بالتحرش بالمهاجرة السوداء المتواجدة معه بالسوق. فكونها متزوجة لم يمنعه من أن يطلب منها هذا الفعل، ذلك لأنه ضمينا يرى نفسه أفضل من زوجها وأكثر قيمة منه. فزوجها بدوره افريقي أسود، وبالتالي هذا يشرعن له؛ من منطلق التراتب بين السيد والعبد؛ أن يأخذ ما يريد من الزوجة الأفريقية. لكن عندما رفضت المهاجرة الاستسلام لرغبات هذا الأخير (الذكر المغربي) أثارت لديه مشاعر الغضب وهو ما دفعه للانتقام منها في أقرب فرصة سُنحت له. هنا نجد أيضا ازدواجية فرط الظهور والإخفاء بسبب النمط الظاهري للون البشرة للمهاجرة الإفريقية في علاقتها بالموثوث الثقافي المرتبط بعبودية الجسد الأسود الكامنة في الذهنية الذكورية للمغاربة. وبذلك تجد المهاجرات أنفسهن مهمشات ولا يحظين بالاعتراف، مما يزيد من إحساسهن بالدونية ويؤكد وضعيتهن "البينية" المزدوجة كأثني وكمهاجرة.

فالمرأة المهاجرة لا تتعرض للاستغلال والتحرش الجنسي في الفضاءات العامة فحسب، بل حتى داخل الفضاءات الخاصة، عندما تعمل في الخدمة المنزلية، وهو ما أكدته (أ، س، ي؛ 45 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 6 سنوات لوحدها، كانت مطلقة عندما هاجرت، تزوجت (زوجة ثانية) من سنغالي مقيم بإيطاليا، الأبناء: 2) التي كانت تعمل لدى أسرة مغربية، ثم اضطرت للتخلي عن هذا العمل بسبب تحرش رب الأسرة بها، فتقول:

"... تتعرض المرأة المهاجرة دائما للتحرش... قبل عملي هنا كنت أعمل لدى أسرة مغربية لمدة سنة تقريبا... في أحد الأيام عرض علي الزوج المال مقابل ممارسة الجنس معه عند غياب زوجته... رفضت وقلت له أنني جئت للعمل بكرامتي وليس لبيع جسدي. هذا ما دفعني لترك العمل...

²⁸ Rosander, Eva Evers. « Cosmopolites et locales : femmes sénégalaises en voyage », *Afrique & histoire*, vol. 4, no. 2, 2005, p. 104

فلمجرد أنك امرأة سوداء ومهاجرة يقول الرجل في نفسه بشكل أوتوماتيكي أنك لوحدة، ولا شيء يمنعك من ممارسة الجنس".

فوضعية المهاجرة المتمثلة في البؤس الاقتصادي والاجتماعي²⁹ (والمتمثل في البعد عن النسق الأسري وحاجتها للعمل) عاملان يحفزان الرجل المغربي، أو رب العمل لاستغلال المرأة المهاجرة لممارسة الفعل الجنسي معها. فهي هنا لوحدها، أو زوجة بعيدة عن زوجها، وبحاجة إلى المال، ولا تخضع لأي رقابة اجتماعية، لا رقابة الأسرة ولا رقابة المعايير الاجتماعية لبلدها الأصلي، كل هذه عوامل تجعله يستسهل استغلالها، ظنا منه أنها لن ترفض. زيادة على ذلك، فهي لن تتسبب له في مشاكل مع أسرته لأنها متزوجة. فانفصال الجسد الانثوي بسبب الهجرة الفردية عن حضن النسق الأسري، والذي يكتمل بتواجد الذكر في إطار الأسرة الوالدية تحت وصاية الأب أو الأخ، أو الأسرة الزوجية تحت وصاية الزوج، يفسح المجال للذكور للنظر إليها كمتغى لتحقيق متعة ظرفية.

تضيف (م، ي، ر؛ 29 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات، عدد الأبناء 1) إلى قائمة الرجال الذين ينظرون للمرأة الإفريقية المهاجرة ذات البشرة السوداء كامرأة سهلة المنال، النساء المغربيات اللواتي يتبنين بدورهن هذه النظرة التي تشرعن لهن الاعتداء على هؤلاء المهاجرات، وتقول:

"نواجه الكثير من الصعوبات... نتعرض دائما للشتم بكلام سيء من طرف المغربيات، نتعنتنا بـ "العاهرة" *prostituée*. يعتدين علينا لأننا سود ولسنا مغربيات، ويقلن لنا: أنتم هنا لاستمالة الرجال وهذه السلعة ذريعة تختبئ وراءها...".

يساهم لون بشرة المهاجرة الإفريقية في فرط ظهورها، ووصمها ببائعة الجنس "*prostituée*" من طرف كل من الذكور والإناث. فهذه الصورة النمطية التي تربط الجسد الأسود بالدونية والعبودية وبلاستغلال الجنسي لا زالت متجذرة في الوعي الجمعي لبعض المغاربة.

فإن كانت ازدواجية الاخفاء والظهور الراجعة للون البشرة تجعل المهاجرين، ذكورا وإناثا، يشعرون بأنهم مهمشون، ولا يحظون بالاعتراف الاجتماعي، وتزيد احساسهم بالدونية، وبالتالي تؤكد وضعيتهم البينية، فإنها تجعل المرأة المهاجرة التي تلتصق بها وصمة بائعة الجنس تعيش "وضعية بينية مزدوجة كأنثى وكمهاجرة".

وإزاء هذا الوضع المعقد، يلجأ المهاجرون إلى العديد من الاستراتيجيات للتفاوض مع هذه الصعوبات التي تواجههم في ظل وضعهم الهجروي البيني، وذلك إما بالتجاهل لمختلف خطابات الكراهية والعنف اللفظي، أو بتقديم تنازلات عن الأماكن الاستراتيجية داخل السوق لفائدة الباعة المغاربة تفاديا للصراع. فوعيهم بأن وضعيتهم مؤقتة تدفعهم للتركيز أكثر على بلدهم الأصلي لتحقيق الأهداف التي هاجروا من أجلها. فهم لا يهتمون بالانفتاح على ثقافة البلد المستقبل، بل يفضلون الانغلاق على الجماعة³⁰ أو "*communitas*"³¹، وهي جماعة بدائية التنظيم، ينتظمون ضمنها باعتبارها موردا اجتماعيا يساعدهم على تجاوز وضعيتهم "البينية"، فيجتمعون فيها كمهاجرين "غير شرعيين" و"بينين". ويكون العرق والدين والهدف المشترك هي العوامل الموحدة لهم، بحيث تمكنهم من حل بعض مشاكلهم والتضامن فيما بينهم. ويحافظون من خلالها على بعض مظاهر ثقافة بلدهم الأصلي المتمثلة في الأكلات السنيغالية والاحتفال ببعض المناسبات الخاصة بهم.

ثانيا: الأدوار الاجتماعية والعلاقات الجندرية: تعدد "وضعيات" البينية للمهاجرات

²⁹ برج، فوزية، البؤس الجنسي والبغاء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، 2019، الطبعة 1، ص.

37.

³⁰ غدنز، أنتوني، علم الاجتماع، ص323.

³¹ La Shure, Charles « "What is Liminality?" », p.2.

1- طقس الزواج بين وضعية "البينية" والاعتراف الاجتماعي للمرأة السنغالية في سياق الهجرة

"لا نولد نساء ولكن نصبح كذلك"³²، حسب (Simon De Beauvoir) "سيمون ديوفوار". تمر المرأة بطقوس عبور متعددة في مراحل حياتها لتصبح امرأة، كحصول تغيرات بيولوجية (كأول دورة شهرية أو الزواج...) أو ثقافية واجتماعية عند التحول من مكانة إلى أخرى في البناء الهرمي للمجتمع الذي تنتمي إليه، وفي كل طقس تعيش المرأة "وضعية بينية" باعتبارها وضعية حتمية للعبور لمرحلة الاعتراف الاجتماعي بالمكانة أو الموقع الموالي. وفي السياق العام لمجتمع السنغال ذي الثقافة الأبوية التي يغذيها الموروث الديني، قد تدوم "وضعية البينية" التي تعيشها المرأة لفترة محددة تتبدد تدريجيا بفضل التأثير غير المحسوس للزمن³³، أو قد تدوم طويلا.

فوفقا للمعايير المجتمعية للسنغال وثقافته الدينية التي لا تعترف بالمرأة إلا وهي تحت وصاية الرجل، وخاصة الزوج، لم تكن الصعوبات والإكراهات التي تواجهها المهاجرات السنغاليات (خصوصا اللواتي هاجرن بعد طلاقهن) تنتهي بخروجهن من بلدهن، بل كانت تزداد حدتها عما كانت عليه عند اتصالهن بأفراد أسرهن الذين كانوا دائما يُذكرنهن بثقافة بلدهن والمعايير الاجتماعية التي نشئن عليها، والتي لا تعترف بالمرأة إلا 'بنتا' أو 'زوجة' أو 'أما'، بحيث تكون دائما تحت وصاية الذكر، مما يجبرهن على الزواج حتى تحظن بالاعتراف الاجتماعي، وهو ما أكدته (س، ي؛ 45 سنة، تتواجد في المغرب منذ 6 سنوات لوحدها، كانت مطلقة عندما هاجرت، تزوجت (زوجة ثانية) من سنغالي مقيم بإيطاليا، الأبناء: 2) بقولها:

"نعم تزوجت بعد ستة أشهر من وصولي للمغرب من أخ لصديقة سينغالية. كنا نسكن نفس الشقة، فكان كلما كلم أخته يكلمني ... هو يعيش في إيطاليا، متزوج هناك وله أبناء...قررنا بعد مدة الزواج وخصوصا أن أهلي دائما يكلموني في هذا الموضوع: يجب أن تزوجي، لا يجب أن تعيشي بدون زوج في الغربة ... كنت أشعر أن هجري نقصت من قيمتي أمام أقاربي، ونقصت حتى من ثقة أهلي بي، حيث كانوا دائما يسألوني ماذا تعملين ... نسمع أخبارا سيئة عن الرجال في المغرب ... لهذا قررت أن أتزوج من أخ صديقتي وأنا أعلم أنني لن أتمكن من الالتحاق به، لأن القانون في أوروبا لا يسمح بتعدد الزوجات. المهم هو أن أجد من يعينني على الحياة وأن يخلصني من كلام الأسرة...لما اتفقنا جاء للمغرب، وأرسلت لأمي ثمن تذكرة الطائرة، لتحضر عقد قراني في مسجد هنا بالدار البيضاء".

اختارت هذه المشاركة في البحث أن تكون زوجة ثانية بزواجها من رجل لن تتمكن من العيش معه لأنه يملك حياة أخرى مع زوجته وأطفاله بإيطاليا. بينما اختارت (م، ي؛ 28 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 4 سنوات، كانت مطلقة عندما هاجرت وتزوجت من سنغالي مقيم بالمغرب، الأبناء: 1) الزواج من مهاجر مثلها التقت به في الدار البيضاء لنفس الأسباب: ضغط الأسرة، نظرة المجتمع الأصلي، حيث قالت:

"تعرفين، يظل الأبوين قلقين على بناتهما، وخصوصا عندما يكن بعيدات عنهما ويعشن لوحدهن... نحن لسنا أوروبيين لدينا ديننا وثقافتنا، وأسرنا لا تقبل أن تعيش الفتاة لوحدها... كانت أمي تكلمني طوال اليوم وفي أوقات مختلفة لتسألني أين أنت؟ ومع من؟ وتلك الأسئلة الأخرى...دائما أقول لها: لا تخافي، لن أقوم بأي شيء يمكن أن يمس بي أو بكم، لكن بدون جدوى...وفي يوم كلمتها

³² De Beauvoir, Simon, *Le deuxième sexe tome 2*, Édition Broché, Paris, 1986.

³³ Marçais, William et Guiga Abderrahman, « Seuils, passages et transitions La liminarité dans la culture maghrébine », *Textes arabes de Takrouna, II, Glossaire*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1959, Paris, p. 2485

وقلت لها أنني التقيت بشاب سينغالي هنا بالمغرب ويريد الزواج بي... فرحت كثيرا وقالت لي أنه أحسن خبر سمعته منذ أن هاجرت...".

تخضع المرأة السينغالية المطلقة التي هاجرت بمفردها لضغوط الأسرة الوالدية في مجتمع الأصل، ولضغوط واقع حياتها اليومية في مجتمع الاستقبال، وتصبح بذلك المرأة المهاجرة موضوع "لسيطرة مزدوجة"³⁴، حيث يُفرض عليها الزواج والدخول في نظام أسري يتوافق والمعايير الاجتماعية لبلدها الأصلي، ليعطيها الشرعية لتواجدها في بلد بعيد عن بلدها. وهو ما دفع هاتين المهاجرتين للزواج في سياق الهجرة من أبناء جلدتهن لتجاوز الوصم الذي يظل لصيقا بهما كنساء مطلقات، مهاجرات، لهن وضعية مبهمّة، حيث لن يحظن بالاعتراف الاجتماعي إلا عندما تكن تحت وصاية الرجل، الزوج. ولذلك، فإنه بالرغم من البعد الجغرافي للمهاجرات عن البلد الأصل في رحلة "بحثن عن الحياة" لهن ولأسرهن، وبحثن عن "الاستقلالية الاقتصادية"، لم يستطعن القطع مع سلطة أسرهن وثقافة مجتمعهن أو التخلص من القواعد والمعايير الاجتماعية الخاصة ببلدهن الأصلي³⁵، المحددة لسلوكهن كنساء من خلال تحديد أدوار وانتظارات كل من الرجل والمرأة. بل على العكس، ففي سياق سعيهن لبناء مسار حياتهن يحافظن على الروابط الاجتماعية بأسرهن وأقاربهن، سعيًا منهن للحفاظ على الشعور بالانتماء لبلدهن، ولتحقيق نوع من التوازن النفسي والرفاه العاطفي³⁶ الذي يعينهن على تحمل الصعوبات والمضايقات التي يعشنها في سياق الهجرة وعلى التخفيف من وضعيتهن "البينية".

ففي سيرورة الانتقال لكل من الذكر والأنثى (كجنس) إلى امرأة أو رجل (كنوع) محدد، ثم إلى زوج وزوجة، لكل أدواره الاجتماعية وانتظاراته التي تخضع لمعايير ثقافة مجتمع المنشأ كشرط للاعتراف بوجوده الاجتماعي، وبالتالي للاندماج الاجتماعي³⁷، تبنى العلاقات الجندرية مستمدة مجموعة من الصور النمطية المحددة لكل من الرجل والمرأة عبر سيرورة التنشئة الاجتماعية. فكيف يتم تقسيم الأدوار الاجتماعية وبناء العلاقات الجندرية في سياق الهجرة؟ وكيف تساهم هذه الأدوار والعلاقات في ترسيخ وضعية البينية للزوجة السينغالية المهاجرة؟

2- تراكم الأدوار الاجتماعية للمرأة المهاجرة السنغالية و"وضعية البينية" الاجتماعية

تشبث المرأة السينغالية المهاجرة بالروابط الاجتماعية في بلدها الأصلي وبخضوعها لمعاييرها التقليدية حيث لا يُعترف بها في سياق الهجرة إلا من خلال قيامها بأدوارها كزوجة أو كأم، بما تتضمنه هذه الأدوار من تمثيلات وانتظارات. مما يدفعنا للتساؤل عن كيفية توزيع الأدوار الاجتماعية في سياق الهجرة التي تفرض على المرأة ممارسة الدور الاقتصادي إلى جانب الزوج، أو بدلا عنه عندما تهاجر بدونه. وكيف يمكن لهذه الأدوار أن تعكس "وضعية البينية" للمهاجرة السينغالية؟

³⁴ Moujoud, Nasima, « Effets de la migration sur les femmes et sur les rapports sociaux de sexe : au-delà des visions binaires », *Cahiers du CEDREF*, 2008, p10.

³⁵ Idem

³⁶ Cornejo-Portugal, Inés; Fortuny-Loret de Mola, « Patricia Liminalidad social y negociación cultural: inmigrantes yucatecos en San Francisco, California Convergencia », *Revista de Ciencias Sociales*, vol. 19, núm. 58, enero-abril, 2012, pp. 71-96, p. 2, Universidad Autónoma del Estado de México, www.scielo.org.mx/scielo.php

³⁷ Magé, Éric, *L'Après-patriarcat, coll La couleur des idées*, Seuil, Paris, 2015, p. 82.

أ-توزيع الأدوار الاجتماعية ووضع البنية للزوجات اللواتي هاجرن بدون أزواج

إن تواجد السنغاليات اللواتي هاجرن بدون أزواجهن في السياق الهجروي، وركن غمار "البحث عن مصدر عيش لهن ولأسرهن" بتحملهن للدور الاقتصادي بدلا عن الزوج، يعطي الانطباع على أنه هناك تبادل للأدوار، وعلى أن الزوج الذي بقي في البلد الأصل مع أطفاله سيقوم بكل الأدوار الاجتماعية المحددة للزوجة تجاه أسرته وأبنائها. لكن وبعد تعميق تحليل مقولات المشاركات في البحث، وجدت أن الزوج السنغالي يقوم بدور الضبط اتجاه الأبناء من خلال ممارسته لسلطة الأب دون أن يقوم بأدوار الزوجة، حيث لا تنطلق المهاجرة في مسارها الهجروي إلا بعد الاطمئنان على أنها تركت من يعوضها، أو يعوض بالأخص دور الأم في التربية والمهام المنزلية التي كانت تقوم بها، كأن تترك مسؤولية ذلك لأختها أو أمها. وهو ما تؤكد (أ، س، ي؛ 45 سنة، تتواجد في المغرب منذ 6 سنوات لوحدها، كانت مطلقة عندما هاجرت، تزوجت (زوجة ثانية) من سنغالي مقيم بإيطاليا، الأبناء: 2) حيث قالت:

"بعد زواجي بمدة صغيرة حصلت على الإقامة التي كنت أنتظرها، وهذا مكّني من الذهاب لبلدي عندما يقرب موعد الولادة/الوضع... وضعت أبنائي الاثنين هناك في السنغال بالقرب من أسرتي. وفي كل ولادة وبعدما استعيد عافيتي أترك الطفل مع أختي، وأعود لعملي... زوجي يعيش في إيطاليا، نلتقي في العطل الصيفية في السنغال... أنا من أتكفل بمصاريف أبنائي، وأحيانا يرسل لي زوجي بعض المال لأرسله لأبنائي في السنغال... فهو ليس بإمكانه أن يوفر كل ما يحتاجه الأبناء، خصوصا أن له زوجة أخرى هناك وأبناء يجب عليه رعايتهم..."

فالنسبة لهذه المهاجرة فهي من يقوم بالدور الاقتصادي بدلا عن الزوج، وهي من يتحمل مصاريف أبنائها الذين تركتهم مع أختها ببلدها الأصلي. فوعيتها باختيارها أن تكون زوجة ثانية لرجل لا يمكنها أن تعيش هي وأبنائها معه يوما ما تحت سقف واحد غير من انتظاراتها ومثالثتها عن دور الزوج، بحيث لا تنتظر منه القيام بدوره التقليدي "الدور الاقتصادي"، حيث لا تحتاج من الزواج باعتباره وسيلة يلجأ إليها المجتمع لتنظيم الناحية الجنسية للأفراد إلا الإخصاب وتنظيم منظومة العلاقة العاطفية والجنسية³⁸ بينها وبين زوجها وهو ما عبرت عنه بقولها:

"أحيانا لا يكون الرجل هو الزوج الذي يوفر لك كل ما تحتاجينه في الحياة، الزوج الذي يعطيك المال... بل هو من يساعدك على أن تكوني أما لأطفال تعيشين من أجلهم وتشعرين بأن لحياتك معنى... وهو الزوج الذي يلبي لك حاجاتك الخاصة كأنثى".

في حين أن المشاركة في البحث (خ، د؛ 35 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات تاركة الزوج في السنغال، الأبناء: 3) التي هاجرت وتركت الأبناء مع الزوج ومع أمها، فإنها لا تنتظر من زوجها أن يقوم بدلا عنها بالأدوار والمهام المنزلية، حيث ستقوم أمها بهذا الدور عوضا عنها، وكل ما تنتظر منه هو الحفاظ على سلطته الأبوية لرعاية أبنائه وضبطهم، حتى وإن لم يقيم بدوره الاقتصادي. وهو ما يتضح من شهادتها حيث قالت:

"بقي زوجي هناك في السنغال ليساعدي على تربية الأبناء وأمي معهم أيضا تقوم بواجباتي المنزلية بدلا عني... تركت أبنائي في سن صعبة لبد من وجود رجل لمراقبتهم ويسهر على تربيتهم... بالنسبة لي، أهم شيء هو أن يقوم بمراقبة أبنائه وتبعهم حتى لا ينحرفوا ولا يتكاسلوا في دراستهم... وأنا هنا أتكفل بكل شيء، المدرسة، المأكل والملبس، والكهرباء، وكل ما يحتاجونه، وأتكفل أيضا بكل مصاريفي..."

³⁸ غانم، هنا، بناء المجتمع، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1972، ص. 58.

تري هذه المشاركة أن قيام الزوج بتربية الأبناء مساعدة لها، لأنها قد استدمجت خلال تنشئتها أن تربية الأبناء ورعايتهم تعتبر من واجبات الزوجة إلى جانب المهام المنزلية. لذا، لم تهجر إلا بعد أن تركت من يعوضها للقيام بذلك، إيماناً منها أن الأدوار المنزلية هي أدوار أنثوية لا تقوم بها إلا النساء. أما الرجل الذي اضطرته ظروفه الاقتصادية للتخلي عن دوره الاقتصادي لا يمكن تجريده من سلطته الأبوية التي تعطيها قيمة اجتماعية ورمزية قوية في التمثيلات الاجتماعية³⁹. بالنسبة لها، الحفاظ على صورة الأب لها رمزية كبيرة في ضبط وتربية الأبناء، وبالتالي لا يمكن تدينسها بقيامه بالمهام المنزلية باعتبارها أدوار ثانوية لا تقوم بها إلا الأنثى. ومن خلال حديثي المطول مع هذه المشاركة في البحث، لمعرفة الأسباب الكامنة وراء عدم تفاوضها مع الزوج ليقوم بالمهام المنزلية بدلا عنها، ما دامت هي من تقوم بدوره الاقتصادي، اتضح لي أنها لم تحاول التفاوض أساسا خوفاً من أن يتحجج بعدم قدرته على هذه المهام ويقدم بذلك على الزواج من امرأة ثانية، حيث قالت:

"من الأفضل أن أترك أُمي تقوم بواجباتي حتى لا يشعر بأني أنقص من قيمته كرجل إذا ما طلبت منه ذلك... وهذه العبرة أخذتها من تجربة سيدة سنغالية تعرفت عليها هنا... في أول هجرتها تركت الزوج لوحده مع أبنائها وهي تعمل وترسل لهم المال... بعد مدة تزوج الرجل من أخرى بحجة أنه لم يعتد على المهام المنزلية ولا يريد تحملها..."

إن "وضعية البينية" التي تعيشها المرأة السنغالية عند زواجها، والتي تتجلى في اللاتين في استقرار علاقتها بالزوج، وخوفها الدائم من أن يقدم على الزواج من أخرى، وهو الحق الذي تخوله له الثقافة الدينية للمجتمع السنغالي، تدفع المرأة لقبول القيام بالدور الاقتصادي بدلا عن الزوج دون أن يقوم هو بالمهام المنزلية. فخوفها هذا، و"وضعيتها المبهمة" وغير المستقرة كزوجة تدفعها في ظل الظروف الاقتصادية الهشة التي تعيشها أسرتها للقيام بأدوار تتوافق وانتظارات الزوج، لتضمن استمرار علاقتها مع زوجها واستقرار أسرتها، فتتحمل بذلك الدور الاقتصادي بدلا عن الزوج، في سياق بعيد جغرافيا عن أسرتها كنوع من التضحية من أجل زوجها وأبناءها، وضمينا من أجل استمرار استقرار علاقتها بالزوج، فتستمرسلة قائلة:

"كنت أظن أن زوجي سوف يجد عملا يوما ما ويساعدني، لكن للأسف، فهو تارة يعمل وتارة لا ... وأنا هنا يجب عليّ العمل كل يوم دون راحة لأن ما ينتظرنني كثير: مصاريف هنا وهناك، وهذا صعب ... لكن ليس لديّ بديل سوى أن أعمل بجد وأتجاهل التعب والمضايقات، وحتى المرض... أتساءل أحيانا هل أنا رجل أو امرأة؟ من يجب أن يقوم بهذا؟ لكن سرعان ما أقول لنفسي لا كفي عن هذا، أنت هنا لهدف معين. فكري فقط في العمل وكيف يمكنك جمع المال... أحيانا أنسى أنني إنسانة... أفكر فقط في العمل وإرسال المال لأبنائي ليعيشوا وليدرسوا، وكذا في توفير المال الذي سيمكّنني من انجاز مشروع خاص بي في السنغال... عندما استحضر ما كنا عليه واستحضر ما استطعت تغييره في أسرتي منذ أن هاجرت أرى أن الفرق كبير وأشعر أن ما أقوم به شيء جيد... حتى وإن تألمت لا يهمني يجب أن يضحى أحداً".

إن التعارض بين ما كانت تنتظره من زوجها بأن يجد عملا ويساعدها، وواقع الحال الذي يفرض عليها تحمل ثقل المسؤولية الاقتصادية لوحدها، بالإضافة لتحمل صعوبات البعد عن أسرتها وعيشها كمهاجرة "غير شرعية" وكل ما تستتبعه هذه الأخيرة من إكراهات ومضايقات في البلد المستقبل،

³⁹Devreux, Anne-Marie, « Des hommes dans la famille. Catégories de pensée et pratiques réelles », *Actuel Marx*, 2005, n° 37, p, 64.

يدخلها في دوامة من الشعور بالإحباط والافتراق⁴⁰ نتيجة الخلط والتداخل بين هويتها الأنثوية والهوية الذكورية. لكنها تحاول تجاوز "الوضعية" "البينية" هذه التي تعيشها بكل تجلياتها بالتفكير في أسرتها وما تمكنت من تحقيقه لهم لحد الآن، وكذلك التفكير في هدفها الأساسي المتمثل في القيام بمشروعها الخاص في بلدها. فالمهاجرة تعتبر وضعيتها هاته وضعية مؤقتة، وبالتالي لابد من التضحية لتجد "الحياة التي تبحث عنها"، خصوصا وأن الروابط الاجتماعية التي تربطها بأسرتها، والمميزة للمجتمع السنغالي عموما، والتي تُعطي الأولوية لمصلحة الأسرة، تدفعها للإيثار⁴¹ وللتضحية في سبيلها.

ب- توزيع الأدوار الاجتماعية ووضعية البينية للمتزوجات اللواتي هاجرن بصحبة الأزواج

تعيش المهاجرات بصحبة أزواجهن بدورهن هذا التضارب بين الواقع والمتوقع، بين ما ينتظره من أزواجهن وما يعيشه في الواقع. وقد يكون هذا التضارب أكثر قوة مما تعيشه المرأة السنغالية التي هاجرت بمفردها، وذلك لأن المهاجرة بصحبة الزوج تكون مطالبة بالقيام بالدورين معا، الدور الاقتصادي الذي هاجرت من أجله لتحسين ظروف عيش أسرتها، والدور التقليدي المتمثل في دور الزوجة الذي يفرض عليها الاعتناء بالزوج، بالإضافة للقيام بالمهام المنزلية، وهو ما يتضح من خلال ما قالته المشاركة في البحث (ف، 25؛ سنة، تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات بصحبة الزوج وزوجته الأولى، عدد الأبناء: 1): "نتشارك ونتقاسم كل شيء... وأحيانا نتكفل أنا وزوجته الأولى بكل شيء... أنا من يتكفل بملاسي وكل احتياجاتي ووجبة العشاء لي ولزوجي ولزوجته الأولى. وأتكفل أيضا بمصاريفها ابنتي هناك في السنغال. حتى أمي، إذا احتاجت للمال أرسله لها، ولأبي وأخوتي كذلك... نادرا ما يساهم زوجي في مصاريف الأسرة لأن مدخوله ضئيل. فهو يبيع الهواتف المستعملة، وفي كل مرة يأتي أحد المغاربة ويقول له 'هذا هاتفي' وتأتي الشرطة ويأخذون الهاتف الذي يكون قد اشتراه زوجي ب 2000 درهم مثلا أو أكثر، وهذا ما يحدث في كل مرة، فبعدما يجمع مبلغا من المال، يشتري به الهواتف المستعملة ويأتي من يقول إنه هاتفه، فيضيع كل شيء ويضطر للبدء من جديد...لهذا لا نضغط عليه ونتحمل عنه المصاريف".

هذه المهاجرة هي زوجة ثانية، وتتواجد بالمغرب بصحبة الزوج والزوجة الأولى، وقد تركت كل واحدة منهما أبناءها لدى أسرتها الوالدة في السنغال. خرجت (ف، 1) للعمل لأول مرة في حياتها وكذا الزوجة الأولى بتشجيع من الزوج، فهو من اقترح عليهما مشروع الهجرة وهو من قام بتمويل مشروعهما الاقتصادي، حيث قام بقرضهما مبلغا من المال لإنشاء نشاطهما التجاري بسوق "الحي الحسني". وكما يتضح من كلام هذه المشاركة في البحث أنها وزوجها والزوجة الأولى اتفقوا على تقاسم كل مصاريف الأسرة، وذلك بحكم أنه لكل منهم نشاطه الخاص الذي يدر عليه مبالغ مالية. إلا أنه تعذر على الزوج الالتزام بالاتفاق، نظرا لطبيعة نشاطه حيث اختار العمل في تجارة الهواتف المستعملة، والتي تكون مسروقة أحيانا، (الشيء الذي توصلت إليه من خلال ملاحظاتي، حيث أنه عندما يشتري هاتفا نقالا من أحدهم يشترط عليه هذا الأخير عدم تشغيله أو عرضه للبيع إلا بعد أسبوع، والمهاجر يقبل هذا الشرط).

⁴⁰ الساعاتي، سامية، المرأة والرجل في الأسرة، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2010، ص. 232.

⁴¹ الإيثار استمدتها من "الانتحار الإيثاري" لايميل دوركايم، والذي يحدث في المجتمعات التي تكون فيها الروابط الاجتماعية قوية التي تعلي من مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

Durkheim, Emile, *Le Suicide*, Alcan, Paris, 1897, p 319.

فوضعية "البينية" التي يعيشها الزوج السينغالي في سياق الهجرة، نتيجة لأزمة العتبة⁴² التي طال انتظارهم بها، جعلته وباقي المهاجرين عينة الدراسة ينظموا "للجماعة communitas" والتي تشكل كوضعية "ضد البنية" الاجتماعية لتنتج بذلك أفراداً تتقمص شخصية "المحتال" بحيث لا يبالون ببعض القيم⁴³، ويتجاوزون بعض المعايير الاجتماعية للمجتمع المستقبل لتحقيق مكاسبهم الاقتصادية. فقيامه رفاقه من المهاجرين بهذا النشاط "المشبوّه" المخالف لقواعد المجتمع المضيف هو ما يسبب له العديد من الاصطدامات مع الشرطة، وبالتالي هو ما يجعله يخسر المال الذي استثمره في شراء الهواتف المستعملة وهذا ما يعمق وضعيته البينية. وبذلك، فالزوجات يتفهمن هذا الوضع، ويتحملن مصاريف أسرهن بدلا عن أزواجهن. إلا أن الأزواج لا يعترفون بأن زوجاتهم هن من يتحملن الجانب الاقتصادي للأسرة أو حتى تساهمن فيه، فيقول (ع، ب، د؛ 39 سنة، يتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات بصحبة زوجته، عدد الأبناء 4) في هذا الصدد:

"أنا من أقوم بواجباتي تجاه أسرتي، ولا أرغم زوجاتي على المساهمة في أي شيء... أنا الرجل... لا يمكن أن أخذ المال من زوجتي بالقوة، ولكنهما يقدمانه لي كهدية ولا يمكنني أن ارفضها [يرفع راسه وهو يضحك] هما تتنافسان فيما بينهما من ستقدم لي أكثر... أنا لا أجبرهما على شيء... هما تعملان لشراء ما تحتاجانه وأنا لا أندخل في مالهما".

يرى الزوج أن ما تقوم به زوجته نحوه، وما تقدمانه له، ليس إلا هدايا تتنافسان من خلالها للتقرب منه، وبالتالي، لا يمكنه رفضها. كما يؤكد أنه لا يتدخل في مال زوجته ولا يجبرهما على المساهمة في مصاريف الأسرة. بالنسبة له، هما تعملان لتوفير حاجياتهما الخاصة، وبالتالي لا يمكن اعتبار ما تقدمانه على أنه مشاركة في الاقتصاد الأسري. وهو ما يؤكد أيضا (م، ص، ط؛ 28 سنة، يتواجد بالمغرب منذ سنتين رفقة زوجته، الأبناء: 1) بقوله:

"أنا لا أرى ما تقوم به المرأة هنا على أنه عمل... تأتي معي للسوق وتحاول أن تشغل وقتها وفي نفس الوقت تكسب بعض المال لتشتري ما تحتاجه... النساء اليوم أصبحن متطلبات... ونحن هنا نعمل لنعيش... وهن يردن أشياء لا يمكننا توفيرها لهن لذلك يقمن بهذا النشاط... بالنسبة لي، يتوجب على توفير الحاجيات الأساسية، أما الكماليات فأنا لست مجبرا على توفيرها. لذلك عندما ترغب زوجتي في 'أيفون 6' هي من يجب أن تشتريه من مالها الخاص ولست أنا".

يشترك كل المشاركين في البحث في عدم الاعتراف بالمساهمة المادية (المالية) للزوجة التي تعمل معه في نفس السوق، ويقولون على أنهم لا يجبرونهن على مشاركتهم في الإنفاق لأنهم يعتبرون هذا الأخير من مهام الرجل، التي يحثه معتقده الديني على القيام به، وبالتالي، لا يرون النشاط الاقتصادي الذي تقوم به الزوجات على أنه عمل مثله مثل عمل الرجال، بل هو مجرد وسيلة تشغل بها المرأة وقتها وتكسب منه بعض المال الذي يمكنها من تلبية حاجياتها الخاصة. إن عدم الاعتراف بأن ما تقوم به المرأة السينغالية في سياق الهجرة عمل، والنظر إليه على أنه نشاط ثانوي هو ما يجعل الزوج لا يتقاسم مع زوجته المهام المنزلية، وهو ما توضحه (ف، ا؛ 25 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات بصحبة الزوج وزوجته الأولى، عدد الأبناء: 1) بقولها:

"زوجي لا يساعدنا في مهام البيت، نحن الزوجات من نقوم بهذا... عندما ندخل للبيت كل واحدة نعرف ما يجب أن نقوم به بالتناوب بيننا... وهو عندما يدخل البيت يجلس أمام التلفاز يتابع الأفلام فقط حتى نعد الطعام ويقوم ليأكل، هذا كل ما يقوم به. أحيانا لا يدخل للبيت إلا بعد منتصف الليل... لكن نحن يجب أن ندخل مباشرة للبيت للقيام بما ينتظرنا... هكذا هم الرجال أنانيون... هذا

⁴² المحواشي، منصف، «الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل»، إنسانيات، العدد 49، 2010.

⁴³ Charles La Shure, «What is Liminality», p. 6.

يشعري بالضيق، نحن نعمل مثله أو أكثر منه... نستيقظ قبله على الساعة 7 صباحا نعد الفطور ثم نخرج للعمل. أحيانا نسبقه للسوق، بحث نبقى في السوق من 9 صباحا إلى 9 ليلا... ثم أذهب لأشتري بعض الحاجيات لإعداد وجبة العشاء وأدخل للبيت أعد الطعام وبعدها أقوم بتنظيف كل شيء (الأواني والملابس...) لا أنتهي إلا بعد الساعة 1 أو 2 صباحا، وهكذا كل يوم، نحن النساء لا نرتاح هنا أبدا على عكس الرجال. إن شعر زوجي بقليل من التعب لا يذهب للعمل، وإذا طلبنا منه القيام بشيء في البيت يرفض ويقول: مَنْ يجب أن يقوم بذلك؟ إنه واجبك...".

من خلال المقارنة التي قامت بها هذه المشاركة في البحث بين مسؤولياتها ومسؤوليات الزوج تجد نفسها تقوم بالدورين معا: الدور الخارجي والداخلي، وهو ما يزيد من الضغوطات الممارسة عليها. فهي تعمل وتساهم في توفير حاجيات الأسرة هنا في المغرب وهناك في السينغال، وتقوم أيضا بالوظائف المنزلية، في حين أن الزوج يعمل خارج البيت فقط، ولساعات أقل من ساعات عملها، وأحيانا، يمكنه أن يتغيب عن عمله بحجة التعب. هذا التفاوت في الجداول الزمنية لكل من الزوج والزوجة الناتج عن تقليص الأنشطة الذكورية دون زيادة مشاركتهم في المهام المنزلية في مقابل تراكم الدورين للمرأة، يزيد من الضغط عليها مما يجعل أنشطتها مساحات مزدحمة⁴⁴. وإذا ما طلبت منه الزوجة المساعدة في الأعمال المنزلية يرفض ذلك بحجة أن هذه المهام من واجبات المرأة. وبذلك فالمهاجر يبقى متمسكا بالمعايير التقليدية لتقسيم العمل التي تشرعن للتوزيع اللامتكافئ للمهام المنزلية⁴⁵، وتكرس لعلاقات السلطة المتفاوتة بين الزوجين، مما يشعر الزوجة بالظلم والقهر. كانت تتوقع الزوجة عند خروج المرأة للعمل بنية مساعدة الزوج أن يبادلها هذا الأخير نفس النية وهي التعاون، إلا أن الواقع يبين على أن تقاسم المرأة للدور الانتاجي مع الزوج "لم يزد الثقافة الأبوية إلا تعزيزا"⁴⁶، وذلك بالنظر لما تقوم به المرأة من أدوار إنتاجية ماهي إلا امتداد لدورها التقليدي، وأن مردودها لا يسد إلا حاجياتها التي تصنف على أنها من الكماليات، فتقابل بعدم الاعتراف. وهو ما يولد لدى المرأة الإحساس بالظلم نظرا لصراع الدور⁴⁷، أو لتراكم الأدوار لديها. فالتعارض بين المنتظر منها اجتماعيا كزوجة وامرأة، وما تفرضه ظروف واقعها (القيام بالتعاون مع الزوج لتحسين مستوى عيش أسرتها)، يشعرها بالإحباط والاغتراب⁴⁸. فصعوبة التوفيق بين ما تمليه عليها الثقافة الأبوية من جهة، وما تفرضه عليها ظروف أسرتها الاقتصادية من جهة أخرى، يعيد انتاج التفاوتات بين الزوجين، ويرسخ لهزيمة السلطة واللامساواة بينهما، وبالتالي، يزيد من تعميق "وضعية البينية" التي تعيشها باعتبارها مهاجرة وأنثى وزوجة.

2-3- تفاوت العلاقات الجندرية في السياق الهجروي و"وضعية البينية" الاجتماعية

⁴⁴Olivera, Lourdes Diaz, Plat, Didier, Pochet, Pascal, « Mobilités quotidiennes des femmes en Afrique Subsaharienne », Deneffes (ed), *Femmes et villes*, Presses Universitaires Françaises Rabelais, 2004, p 4 .

⁴⁵Bouasria, Leila, « Les ouvrières chefs de foyer : entre la modernité du réel et le souhaitable traditionnel » in, Dupret. B, Rhani, A., Boutaleb, J-N., Ferrié, *Le Maroc au présent*, Casablanca, Centre de Jacques-Berquecette, 2015, pp. 327-334.

⁴⁶بركات، حليم، «النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية» المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، (53-67).

⁴⁷Chafetz, Janet Saltzman, and Jacqueline Hagan, « The gender division of labor and family change in industrial societies: A theoretical accounting », *Journal of Comparative Family Studies*, Editor, department of sociology University of Calgary, 1996, pp.187-219.

⁴⁸الساعاتي، سامية، المرأة والرجل في الأسرة، ص232.

إن هذه المواقف التي يعلنها أزواج المهاجرات السنغاليات تجاه عمل المرأة، ونظرتهم له على أنه عمل ثانوي، تعكس النظرة الدونية والتبخيسية التي يتعمدها الزوج تجاه عمل الزوجة، وتجاه الدور الاقتصادي الذي تقوم به في سياق الهجرة كنوع من المقاومة التي يقوم بها هذا الزوج حتى لا تنفلت الزوجة من سيطرته جراء الاعتراف بقيمة دورها الاقتصادي في الأسرة، الشيء الذي قد يشعرها بالاستقلالية الاقتصادية عنه، وقد يؤدي بالتالي لعدم تبعيتها له، وربما حتى إلى الخروج عن "طاعته".

إن ما تؤكدته نظرية الموارد "la théorie des ressources"⁴⁹ بأن من له موارد اقتصادية أكثر تكون له سلطة أكبر، تفسر إلى حد ما تبخيس الزوج لعمل الزوجة من جهة، ثم تشديد الرقابة عليها وعلى حركتها في سياق الهجرة من جهة ثانية، وهوما توصلت إليه من خلال ملاحظاتي لتوزيعهم المجالي داخل سوق "الحي الحسني" حسب النوع، حيث نجد أن النساء المهاجرات تتواجدن بمحاذاة سياج الحديقة من الخارج، بحيث يدرن له ظهورهن، بينما يتوزع المهاجرون الذكور داخل الحديقة، بحيث يرون كل ما يجري خارجها. فتموقعهم هذا يسهل على الأزواج مراقبة زوجاتهم اللواتي لا يفصلهن عنهم إلا ذاك السياج الحديدي المتآكل. تأكدت بعدها عند قيامي بمقابلات مع السنغاليات اللواتي جئن للمغرب بصحبة أزواجهن من أن ما افترضته في أول ملاحظاتي بأن هذا التوزيع المجالي حسب النوع في فضاء السوق يسمح بتشديد مراقبة الأزواج على زوجاتهم، حيث كنت في كل مرة وأنا أقوم بمقابلة مع مهاجرة تتواجد في السوق بصحبة زوجها، يقاطعنا أحد المهاجرين ويوجه الكلام للمشاركة في البحث بلغتهم الأصلية (Wolof) ثم يذهب، ويأتي آخر، وهكذا تكرر المشهد لأكثر من مرة، وفي كل مرة أحاول الاستفسار عما دار بينهما بقولي للمهاجرة: "هل خلقت لك أي مشكل؟" لكنها تجيب ب: "لا، لا بأس، يريدون فقط الاطمئنان مع من أتكلم..".

وفي إحدى المقابلات أكدت لي المشاركة في البحث (م، ر؛ 35 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 4 سنوات بصحبة الزوج، عدد الأبناء: 2) فرضيتي بقولها:

"زوجي لا يسمح لي بربط علاقات مع الغرباء حتى وإن كانوا سود البشرة مثلنا... يقول لي أنه لا يحب أن أختلط إلا مع السنغاليات واللواتي يعرفهن جيدا ويعرف أزواجهن... ليس هذا فقط، بل حتى السنغاليات التي يعرفهن هنا في السوق لا يسمح لي بكثرة الكلام معهن... عندما يرى أحدهن تكلمني لمدة طويلة يتصل بي هاتفيا وهو بالقرب مني... يعني بذلك أن أكف عن الكلام وأنتبه لعملي... لا أدري لما يخاف... لست وحدي من يعاملها زوجها هكذا... أعرف عددا من الزوجات يشكين من نفس الشيء... أختي هناك، أنظري إليها تجلس لوحدها لا تكلم أحدا لأن زوجها أيضا لا يسمح لها بذلك...".

ليس فقط المهاجرون المتواجدون في فضاء السوق بصحبة زوجاتهم هم من يحاولون فرض سيطرتهم وتشديد مراقبتهم على تحركاتهن، بل حتى الرجال الذين بقوا في السنغال وسمحوا لزوجاتهم بتخطي عتبة فضائهن الخاص، والهجرة لوحدهن أو بمعية أحد أفراد أسرهن يعملون على فرض سيطرتهم بطريقة أو بأخرى. فمنهم من يثير في زوجته "حدها الأثوي" من خلال ممارسته لنوع من "العنف الناعم"⁵⁰ بحيث يدفع الزوجة لتستحضر ما يمكن أن يتقبله زوجها من سلوكيات وما لا يمكن أن يتقبله 'كدليل' يحدد تحركاتها وسلوكياتها وحتى طريقة لباسها، وهو ما يتضح من كلام (خ، ذ؛ 35 سنة، تتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات تاركة الزوج في السنغال، الأبناء: 3) حيث قالت:

⁴⁹Blood Jr, Robert O, and Donald M. Wolfe, *Husbands and wives: The dynamics of family living*, Free Press, 1960.

⁵⁰ بورديو، بيير، *الهيمنة الذكورية*، ترجمة: د سلمان فعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص، 200.

" عندما يتصل بي يوصيني بالصلاة يقول لي: لا تسمحي في صلاتك واملئي قلبك بالله وإذا واجهت أي مشكل استفتي قلبك... فإذا كان سلوكك سيغضب الله فهو سيغضبني أيضا فلا تفعليه...".

زوج هذه المشاركة في البحث يحاول فرض هيمنته بطريقة غير مرئية، ومن خلال الزوجة نفسها. فهي من يجب أن تقوم بمراقبة وضبط تحركاتها دون الرجوع للزوج، ودون أن تحتاج لرقابتها الملموسة مادامت تعمل بوصيته وتستحضر "رقابة الله" في كل تحركاتها ومن خلال 'دليل السلوكيات المسموح بها وغير المسموح بها' الذي استدمجته في ذهنيها طيلة تنشئتها الاجتماعية في مجتمعها الأصلي ذي الثقافة الأبوية. خروج المرأة المهاجرة من بلدها ومن فضاءها الخاص إلى الفضاء العام يجعل الرجل يبالغ في فرض سيطرته ويزيد من مراقبته على تصرفاتها⁵¹ ولباسها. فالاستقلالية الاقتصادية التي حققتها المرأة بهجرتها ومكنتها من تولي شؤونها ومتطلباتها ومتطلبات أفراد أسرته تشعر الزوج بالذنب والاستياء من عدم تمكنه من السيطرة الكاملة عليها، والخوف من انفلاتها بالكامل من هيمنته ووصايته، الشيء الذي يراه الأزواج يتعارض مع الدين⁵². وهو ما عبر عنه أحد المشاركين في البحث (م، ح؛ 34 سنة، له زوجتين، يتواجد بالمغرب منذ 3 سنوات رفقة زوجته الثانية، الأبناء: 2) قائلا:

"نحن المسلمون لنا تعاليمنا التي تقول إن الرجال قوامون على النساء... فلا يجب أن نتساهل معهن في كل الأمور... لا يعني أنها خرجت للعمل لتتحمل مسؤولياتها وتلبي حاجياتها أنه يجب أن تفعل ما تريد... فالمرأة تحتاج دائما لرجل يوجهها ويحميها وهذه مهمة الرجل... الله هو من كلفه بهذا. وهكذا وجدنا آباءنا...".

المرأة بالنسبة لهذا المشارك في البحث يجب أن تبقى تحت الوصاية الذكورية وتابعة لتوجيهاتها، حيث يتمثل المرأة دائما في منزلة ثانية، فهي ضعيفة تحتاج لمن يحميها ويوجهها. هذه الصورة الدونية التي تدور في ذهنية الرجل عن المرأة، والمتوارثة اجتماعيا وثقافيا تظل مصاحبة لهم في سياقهم الهجروي، بل، قد تتعزز في إطاره.

فالتوزيع اللامتكافئ للمهام والأدوار الاجتماعية في سياق الهجرة الذي يعيد إنتاج تفاوت السلطة بين الزوجين ويرسخ لهرميتها من جهة، ومبالغة الزوج السينغالي في فرض سيطرته ومراقبته لسلوكيات الزوجة بشكل صريح أو ضمني من جهة أخرى، بالإضافة لوضعية اللايقين التي تعيشها الزوجة طيلة حياتها الزوجية والتي يمكن تسميتها "بوضعية البينية" لما يشوبها من مظاهر الغموض وعدم الاستقرار وانفتاحها على كل الاحتمالات (بسبب نمط تعدد الزوجات)، كل ذلك يزيد من تعميق وضعية "البينية" للمرأة المهاجرة كونها زوجة.

خلاصة

من خلال كل ما رصدناه من تجليات "الوضعية البينية" المختلفة والمتعددة التي يعيشها المهاجرون والمهاجرات على حد سواء في حياتهم اليومية في سياق الهجرة، من تمييز وعنصرية وإحساس بالدونية وتهميش من طرف المغاربة في الفضاءات العامة وفي 'فضاء السوق' خصوصا، والتي تتمظهر من خلال التوزيع اللامتكافئ للمجال بينهم وبين الباعة المغاربة، من جهة، أو من خلال "اللامرئية الاجتماعية" من طرف المؤسسات الاستشفائية والأمنية، من جهة ثانية. علاوة على خطابات الكراهية والعنف اللفظي الذي تلعب فيه ازدواجية 'فرط الظهور والإخفاء' بسبب النمط

⁵¹ Abrous, Dahbia, *L'honneur et le travail des femmes en Algérie*, L'harmattan, Paris, 1989, p321.

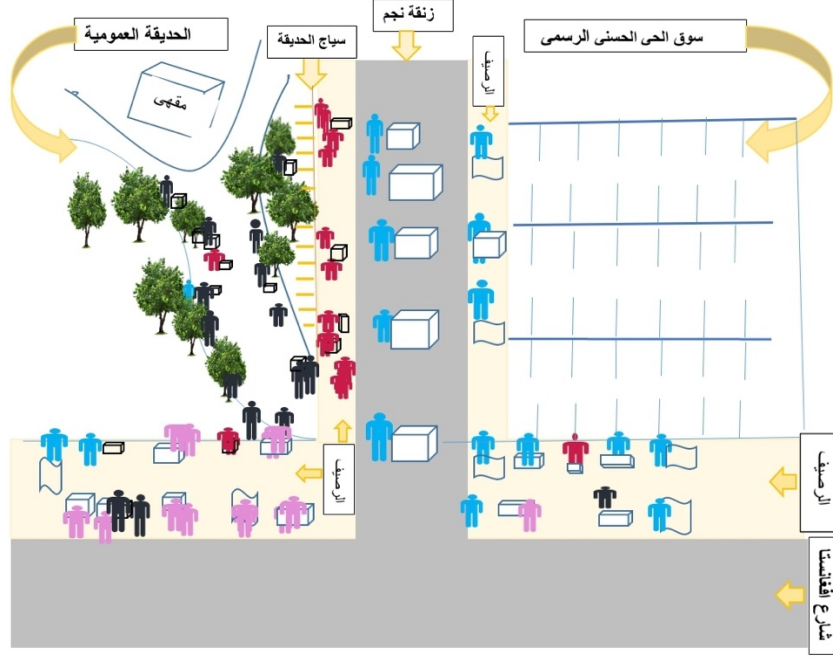
⁵² Rosander, Eva Evers, « Cosmopolites et locales: femmes sénégalaises en voyage », p.119.

الظاهري للون البشرة السوداء للمهاجرين دورا كبيرا، وما تسببه لديهم من إحساس بالدونية وتأكيد لوضعيتهم "البينية".





نخلص إلى أن هذه الوضعية غير محايدة حسب النوع، حيث تزداد حدتها بالنسبة للمهاجرة كونها أنثى والتي تلتصق بها وصمة "عاهرة"، فتعيش بذلك "وضعية بينية مزدوجة" كمهاجرة وكأنثى. كما أن هذه الوضعية تزداد حدة بالنسبة للمهاجرة باعتبارها زوجة، التي يجب أن تتوافق أدوارها وانتظارات الزوج، وما يتوقعه المجتمع منها، فتصبح بذلك تعيش تحت "سيطرة مزدوجة"، سيطرة الواقع الذي يفرض عليها تحمل الدور الاقتصادي إلى جانب الزوج أو بدلا عنه، وسيطرة الصور النمطية لدور الزوجة المحدد اجتماعيا. فالمرأة المهاجرة السنغالية لا تثق في الحياة الهجروية كما لا تثق في استقرار حياتها الزوجية، وهو ما أكدته أغلب المشاركات في البحث من خلال قوله ترددت على مسامعي مرات متكررة بصيغ مختلفة: "نحن النساء تعلمنا في بلدنا ألا نثق في الرجال، وتعلمنا مما عشناه ونعيشه هنا ألا نثق في الحياة عموما". وبهذا "الخوف المزدوج" ستتعدد "وضعيات البينية" التي تعيشها المهاجرة السنغالية، وتصبح بذلك تعيش "وضعيات بينية متعددة" كأنثى وكزوجة ومهاجرة.

تتعدد وتختلف بذلك آليات التفاوض حسب المواقف والموارد الاجتماعية لكل مهاجر ومهاجرة، حيث تتنوع بين التجاهل أو تقديم تنازلات أو حتى الانغلاق على الجماعة والتنظيم في إطار "communitas" باعتبارها موردا اجتماعيا يساعدهم على تجاوز وضعيتهم "البينية"، ويمكنهم من حل بعض مشاكلهم والتضامن فيما بينهم، والحفاظ على بعض مظاهر ثقافة بلدهم الأصلي المتمثلة في الأكلات السنغالية والاحتفال ببعض المناسبات الخاصة بهم. ومنه، فإن "الوضعية البينية" التي يعيشها المهاجرون/ات تتسم بالدينامية. فبالرغم من أنها وضعية مؤقتة وفترتها غير محددة زمنيا، فإنهم يعيشون فيها حياة بأكملها، يمارسون فيها علاقات السلطة والمقاومة بشكل مستمر، ينتجون فيها المعرفة ويبتكرون فيها آليات السيطرة والتفاوض فيما بينهم، كآلية من "آليات التوافق الاجتماعي" التي تبقى مفتوحة على كل الاحتمالات، يشوبها ما يشوب "وضعية البينية" نفسها من غموض، حيث لا يُعلم أي نوع من العلاقات والتوافقات ستنتج مستقبلا، خصوصا بعد رجوعهم لبلدهم.

ملحق
توزيع الباعة المغاربة والباعة من المهاجرين/ات السنغاليين حسب المجال في فضاء سوق
الحي الحسني بالدار البيضاء



المفتاح

-  المهاجرين السنغاليين الذكور
-  المهاجرات السنغاليات الاناث
-  الباعة المغاربة الاناث
-  الباعة المغاربة الذكور

بيبلوغرافيا

- برج، فوزية، **البؤس الجنسي والبغاء**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة 1، 2019.
- بركات، حليم، «النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية»، **المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية**، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، ص. 53-67.
- بورديو، بيير، **الهيمنة الذكورية**، ترجمة: د سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.
- الخشاني، محمد، «هجرة الشباب العربي إلى دول الاتحاد الأوروبي، قراءة نقدية في السياسة الاوربية للهجرة»، **الهجرة في حوض المتوسط وحقوق الانسان**، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، طبعة 1، 2018.
- الساعاتي، سامية، **المرأة والرجل في الأسرة**، القاهرة، الدار المصرية السعودية، 2010.

غدنز، أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة، فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة الطبعة 1 بيروت، 2005.
المحواشي، منصف، «الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل»،
إنسانيات، العدد 49، 2010، ص، 15-43.
هنا، غانم، بناء المجتمع، دمشق، مطبعة الاتحاد، 1972.
يسني، ياسين، «وضع المرأة السوداء في المغرب بين وصمي اللون والنوع الاجتماعي»، مجلة عمران،
العدد 25، 2018، ص، 57-77.

Abrous, Dahbia, *l'honneur et le travail des femmes en Algérie*, Paris, L'harmattan, 1989, 312p.

Alioua Mehdi ; Jean-Noël Ferrié, and Helmut Reifeld, eds , *La nouvelle politique migratoire marocaine*, Konrad-Adenauer-Stiftung.V, Lawne, 2017.

Audette-Chapdelaine, Sophie, « Un tremplin, mais pas nécessairement vers l'Europe : (In)visibilité de personnes originaires d'Afrique subsaharienne au Maroc », Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures et postdoctorales de l'Université Laval dans le cadre du programme de maîtrise en anthropologie pour l'obtention du grade de Maître arts département d' anthropologie Faculté des Sciences Sociales Universit LAVAL Québec 2012,p,12.
<https://corpus.ulaval.ca/jspui/bitstream/20.500.11794/23918/1/29372.pdf>

Blood Jr, Robert O., and Donald M. Wolfe. "Husbands and wives: The Dynamics of family living.", Free Press. 1960.

Bouasria Leila, « Les ouvrières chefs de foyer : entre la modernité du réel et le souhaitable traditionnel » in, Dupret.B&Rhani, A&Boutaleb, J-N&Ferrié, *Le Maroc au présent*, casablanca, Centre de Jacques-Berquecette, 2015, pp327-334

Boudon, Raymond, *Effets pervers et ordre social*, Ed, PUF, 1977, pp 283.

Chafetz, Janet Saltzman, and Jacqueline Hagan, « The gender division of labor and family change in industrial societies: A theoretical accounting», Journal of Comparative Family Studies, Editor, department of sociology University of Calgary, 1996, pp.187-219.

La Shure, Charles, « What is Liminality? », 2005 (first version), p, 2- 8.
<http://www.liminality.org/about/whatisliminality>, 05/04/2019.

Escoffier, Clairo, *Transmigrant-e-s africain-e-s au Maghreb Une question de vie ou de mort*, L'Harmattan 2008.

Cornejo-Portugal, Inés; Fortuny-Loret de Mola, Patricia, « Liminalidad social y negociación cultural: inmigrantes yucatecos en San Francisco, CaliforniaConvergencia», Revista de Ciencias Sociales, vol. 19, núm. 58, enero-abril, 2012, pp. 71-96Universidad Autónoma del Estado de México , www.scielo.org.mx/scielo.php

- Dartiguenave, Jean-Yves , « Rituel et liminarité », *Société* n°115, 2012, p, 85.
<https://www.cairn.info/revue-societes-2012-1-page-81.htm>
- De Beauvoir Simon, *Le deuxième sexe*, tome 2, Édition Broché, Paris, 1986.
- Durand, Jean-Pierre et Weil, Robert, *Sociologie contemporaine*, Vigot, Paris 1980.
- Durkhiem, Emile *Le Suicide*, Alcan, Paris, 1897
- Rosander, Eva Evers, « Cosmopolites et locales: femmes sénégalaises en voyage »,in *Afrique & histoire* 2005/2 (vol. 4), p, 104
<https://www.cairn.info/revue-afrique-et-histoire-2005-2-page-103.htm>
- Ennaji, Moha, and Fatima Sadiqi, *Migration and Gender in Morocco, the impact of migration on the women left behind*, the Red Sea Press, Inc., 2008, pp. 222.
- Genep, Amold van, *Les rites de passage, Étude systématique des rites de la porte et du seuil, de l'hospitalité, de l'adoption, de la grossesse et de l'accouchement, de la naissance, de l'enfance, de la puberté, de l'initiation, de l'ordination, du couronnement des fiançailles et du mariage, des funérailles, des saisons etc*, Paris : Librairie Critique 1909, pp 288.
- Le Bihan, Yann, *Construction sociale et stigmatisation de la " femme noire " Imaginaires coloniaux et sélection matrimoniale*, coll. Logiques sociales, L'Harmattan, 2007, pp, 280.Lourdes Diaz, Olivera, Didier Plat, Pascal Pochet, « Mobilités quotidiennes des femmes en Afrique Subsaharienne », DENEFLS. (Ed), *Femmes et villes*, Presses Universitaires François Rabelais, pp,135-153, 2004, Coll. Perspectives Villes et Territoires, n°8, pp. 2-10.
- Macé, Éric, *L'Après-patriarcat*, Seuil, La couleur des idées, Paris, 2015.
- Marçais, William et Guiga, Abderrahman, « Seuils, passages et transitions La liminarité dans la culture maghrébine » *Textes arabes de Takrouna, II, Glossaire*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1959, cité dans <https://books.openedition.org/irmc/265?lang=fr>
- Fourny, Marie-Christine, « La frontière comme espace liminal : Proposition pour analyser l'émergence d'une figure de la frontière mobile dans le contexte alpin ». *Revue de Géographie Alpine / Journal of Alpine Research*, Association pour la diffusion de la recherche alpine, 2014, 101 (2), pp.2-11
<https://journals.openedition.org/rga/848>
- Moujoud, Nasima, « Effets de la migration sur les femmes et sur les rapports sociaux de sexe : au-delà des visions binaires », *Cahiers du CEDREF*, 2008, pp.57-79..<https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs>
- Thomassen, Bjørn, *the uses and meaning of liminality*, *International Political Anthropology* 2.1, 2009, 5-28.
- Turner, Victor. *Le phénomène rituel, Structure et contre-structure*. Éd. Presses Universitaires de France, Paris, 1990.